

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة جيلالي بونعامة - خميس مليانة



كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الخطاب الحجاجي في الحديث النبوي الشريف الأربعون النووية أنموذجا دراسة تداولية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

التخصص: لسانيات عامة

إشراف الأستاذ:

• مصطفى عباس

إعداد الطالبتين:

• فهيمة هدروق

• أسماء حملاوى

السنة الجامعية: 2018/2017

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجِبْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ
عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[آل عمران: 66]

شكر وتقدير:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾

نشكر الله سبحانه عزّ وجلّ جزيل الشكر، فبفضله وفّقنا في إنجاز هذا العمل، ونسأله أن يُثبّت الأجر لنا ولكلّ من ساعدنا، ويجعله في ميزان الحسنات.

نشكر الأستاذ المشرف مصطفى عبّاس، الذي أضاء بعلمه عقل غيره، وهدى بالجواب الصحيح حيرة سائله.

إلى كلّ من علّمنا حرفاً وزرع فينا تقوى الله، أساتذتنا من الطّور الابتدائي إلى الطّور الجامعي، خاصّة الأستاذ أحمد حمداش جزاه الله كلّ خير.

إهداء:

إلى من يعجز القلب عن شكرهما، ومن كان دعاؤهما سرّاً ناجحاً، أمّي وأبي أطال الله في عمرهما.

إلى من بوجودهم أكتسب قوّة ومحبة لا وجود لها، إخوتي وأخواتي حفظهم الله. إلى زوجي وقرّة عيني محمّد.

إلى الأستاذ المشرف الذي تقبل منّا كلّ استفساراتنا بصدق ورحب، مصطفى عباس.

إلى من تقاسمت معي مشاق الحياة والدراسة، حبيبتي أسماء.

✍️ فهيمة.

إهداء:

إلى من بعث في قوة الإرادة وأرسى في دعائم الجد والاجتهاد، والديّ الحبيبان وأمّي الثانية جدّتي -رحمها الله-.

إلى كل من كان سندًا لي في مساري الدّراسي، إخوتي حفظهم الله.

إلى الأستاذ المشرف الذي كان عونًا لنا في إنهاء هذا العمل المتواضع، مصطفى عبّاس.

إلى من كانت ولا تزال الأخت والحبيبة ورفيقة الدّرب، فهيمة.

إلى من تبعث في قلبي السّعادة وحبّ الحياة، توأم روحي أريج طيبة.

✍ أسماء.

مقدمة

لما كان القرآن الكريم معجزةً عقليةً خالدةً، ونبعٌ لا ينضبَ معيئه، ظلَّ على امتداد الأزمان بَكرًا في معانيه وألفاظه وتراكيبه وأهدافه، وهكذا بالنسبة للسُّنة النَّبوية الشَّرِيفة التي تعتبر مقصدًا هامًا من مقاصد الشَّرِيعَة التي تستقي بيانها ومعانيها من نبع القرآن الكريم والتي حام حولها العلماء من كل عصرٍ، يأخذون بعض الفوائد من جواهرها ويرتشفون قطرات من جليل هديِّها وتوجيهها كما ظلَّت محلَّ البحث ومناطِ التأمُّل والتَّمحيص وغاية الغايات.

ولقد ألهمنا الله سبحانه وتعالى لاختيار الأحاديث النَّبوية الواردة في متن الأربعين النَّبوية للإمام محي الدين النووي -رحمه الله تعالى- التي حوت الكثير من القضايا اللغوية والحجاجية والبلاغية كما اشتملت على الشُّواهد العديدة التي تدلُّ على عظمة وصدق وإعجاز السُّنة الخالدة بخلود القرآن الكريم، وهنا كان من الطَّبيعي أن يحاول الباحث تلمُّس التَّشكيلات المتضمِّنة للخطاب الحجاجي، وكان من الطَّبيعي أيضًا أن يُوظَّف الباحث ما يمكن توظيفه من آليات حديثة في تلمُّس وإفراز هذا الإعجاز البين، وكيفية إيراد الخطاب الحجاجي في الأحاديث النَّبوية عامَّة، وأحاديث الأربعين النَّبوية خاصة من عدَّة أوجه وبالأخص الناحية التَّداولية بكل ترسُّباتها وعوالمها.

وفي صدد بحثنا في هذا الموضوع وجدنا دراسات سابقة، يمكن القول أنَّها كانت لنا عونًا على رسم خطوات بحثنا نذكر منها:

- تجلِّيات الحجاج في الخطاب النَّبوي، دراسة في وسائل الإقناع، الأربعون النَّبوية أنموذجًا، ل: هشام فروم.
- الخطاب الحجاجي في صحيح البخاري -دراسة تداولية- ل: أبي بكر زروقي.
- الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه، دراسة تطبيقية في كتاب المساكين "للرافعي" ل: هاجر مدقن .

أما أسباب اختيارنا لهذا الموضوع تمثلت في سببين، سبب ذاتي، والآخر موضوعي:

1- السبب الذاتي: لاشكَّ أنَّ الحديث عن السنَّة وعن أقوال وأحاديث الرِّسول -صلى الله عليه وسلّم- شيق ورائق، كيف لا ونحن مأمورون باتِّباع سنَّته وهدْيِهِ، قولاً وفعلاً وتقريراً فهو الرِّحمة المُهداة والنِّعمة المُسداة، والذي أتى عليه ربّه في مُحكم التَّنزيل قائلاً: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ومن هنا يتبيَّن أنَّ انتقاءنا لهذه الدِّراسة أو هذا الموضوع نابع من حبِّنا وتعلُّقنا واهتمامنا، اهتماماً خاصّاً وجليّاً بسنَّة نبيِّنا محمد -صلى الله عليه وسلم-.

2- الموضوعي: مهما بالغ الإنسان في الجحود والإنكار والإجحاف فإنّه من المستحيل أن يبلِّغ به ذلك إلى استبعاد فضل السنَّة النبوية على الحياة اليومية، وما يضيفه الخطاب الحجاجي على إبراز وتوضيح المعاني التي استعصى فهمها وإدراكها على القارئ أو المتلقي، ومن جهة أخرى نولي عناية خاصة لهذا الموضوع لما له من حضور كثيف في تقويم وإفحام المتزمتين الذين يهاجمون وبشراسة أقوال وأفعال الرِّسول الكريم، وأيضاً من بين ما دعانا إلى اختيار هذه الدراسة هو قلة المهتمين بهذا الجانب وفقر المكتبات من مثل هذه المواضيع التي قل طارقوها وكثر تاركوها.

وتنبُّع أهميَّة الموضوع من ذاته كونه دراسة تهتم بسنَّة الرِّسول الحبيب المُستمدَّة من وحي الله عز وجلّ، ولا ريب أنَّ لهذا شأن عظيم يكمن في اكتشاف أسرار ودُرر هذه المعجزة، بالإضافة إلى حاجة المكتبة اللغوية إلى مثل هذا اللون من ألوان الدراسات التي تعين الدارسين والقراء من أبناء هذا الجيل للتعرف على مكامن وجحور إعجاز الخطاب الحجاجي في الحديث النبوي الشريف.

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف والأغراض المقصودة ولعلّ من أبرزها ما يلي:

- محاولة إدراك مميزات الخطاب الحجاجي ضمن الأحاديث النبوية ورصد أهميته ووظيفته في تحقيق الغرض المنشود .

- دراسة بعض آليات الخطاب الحجاجي البلاغية واللغوية وكذا التداولية دراسة تطبيقية لاستجلاء أبعادها والكشف عن قيمتها ومكوناتها .

ومن خلال بحثنا حاولنا أن نجيب على إشكالية أساسية هي: كيف وُظف الخطاب الحجاجي في الأربعين النووية؟ واندرجت ضمن هذه الإشكالية تساؤلات فرعية هي:

- ما مفهوم الخطاب والحجاج؟ وماهي دلالاتهما؟

- أين تظهر العلاقة بين الحجاج والتداولية؟

- كيف تجلّت آليات الخطاب الحجاجي اللغوية والبلاغية والتداولية في الأربعين حديثاً النووية؟

وقد آثرنا أن تكون دراستنا موزّعة بين فصلين، فصل نظري، والآخر تطبيقي، إذ كان الفصل الأول عبارة عن مدخل نظري لعلمي الخطاب والحجاج، قسّمناه إلى ثلاثة مباحث، إذ تناولنا في المبحث الأول ماهية الخطاب ودلالته، كما تناولنا في المبحث الثاني دلالة الحجاج في الفكرين العربي والغربي، وأفردنا المبحث الثالث للخطاب الحجاجي، درسناه من حيث خصائصه وأنواعه، أمّا الفصل الثاني كان عبارة عن دراسة تطبيقية للخطاب الحجاجي في الأربعين النووية فقسّمناه هو الآخر إلى ثلاثة مباحث فتناولنا في المبحث الأول ترجمة لشخصية الإمام محي الدين النووي -رحمه الله- وعزّفنا بالمدونة، والمبحث الثاني خصّصناه لدراسة آليات الخطاب الحجاجي اللغوية والبلاغية في الأحاديث النووية، أمّا المبحث الثالث والأخير تناولنا فيه آليات الخطاب الحجاجي التداولية وعنوانه بالجانب التداولي للحجاج في الأربعين، وفي الأخير ختمنا بحثنا بعرض جملة من الاستنتاجات التي توصلنا إليها من دراستنا هذه.

واعتمدنا في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على وصف الظاهرة اللغوية وتحليلها، فقمنا بوصف الخطاب الحجاجي الوارد في المدونة، وقمنا بتحليله بتتبع آيات الخطاب الحجاجي (اللغوية، البلاغية، والتداولية)، واستنتاج الدور الحجاجي الذي قامت به في تحقيق غرض الإقناع والتأثير.

وقد لجأنا في دراستنا على مصدر رئيسي تمثل في المدونة وهو: متن الأربعين النووية لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، ومجموعة من المصادر والمراجع نذكر منها:

- استراتيجية الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، لعبد الهادي بن ظافر الشهري.
- شرح الأربعين حديثاً النووية لابن دقيق العيد.
- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي لطفه عبد الرحمان.

ومما لا ريب فيه أنّ أهل العلم والمعرفة لا بدّ أن تعتري طريقهم الصعاب والمشاكل إذ لا يخلو أي بحث من الصعوبات والعراقيل التي تحول دون بلوغ الغاية وتحقيق الفائدة ونذكر من بينها مايلي:

- الموضوع كثير التشعب والتوغل وهذا ما شكل نوعاً من الغموض في تحديد نوع الدراسة بدقة.
- صعوبة اقتناء الكتب والمستندات من المكتبات المحلية والمجاورة وهذا راجع لفقرها من مثل هذه الدراسات.
- جدّة الموضوع وبالتالي قلة الدراسات السابقة له.

وفي الأخير نسأل الله جلّ شأنه أن يُمّن علينا بالتوفيق والتأييد، ونستعينه أن يأخذ بأيدينا لما فيه خير لكلّ من تصفّح بحثنا، والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

الفصل الأول: مدخل نظري إلى علمي الخطاب

والحجاج

- ماهية الخطاب ودلالاته

- دلالة الحجاج في الفكرين العربي والغربي

- الخطاب الحجاجي (الأنواع والخصائص)

تمهيد:

قبل الخوض في غمار البحث والوقوف على الجانب التطبيقي فيه إنّه ومن الملائم أن نقف على بعض المفاهيم الأساسية في هذا الحقل البحثي وتحديد المصطلحات الخاصة به "فإذا كانت اللغة وسيلة للتعبير عن كل الأفكار فالمصطلح ألقباء العلم، كلّ علم وأي علم كان"¹، وفي هذا الشأن قال "فولتير" مقولته الشهيرة "قبل أن نتحدث معي حدّد مصطلحاتك"²، وهذا يدل على الأهمية الكبيرة لتحديد المفاهيم والمصطلحات.

وسنباشر في -هذا الفصل- العمل على توفير نظرة تشتمل على تعريف كل من علم الخطاب والحجاج في تراثنا العربي وفي الثقافة الغربية، فضلا على تسليط الضوء على بعض العناصر التي تتدرج ضمن هذين العلمين دون إهمال الإشارة إلى رؤى وتصوّرات الباحثين عنهما، وصولا إلى دراسة الخطاب الحجاجي الذي يُعدّ موضوع الدراسة، إذ قمنا برصد جملة من خصائصه، وتتبع عددا من أنواعه.

¹ - عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ص8، نقلا عن: دليلة قسمية، استراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي، منكرة مقدّمة لنيل الماجستير، باتنة، الجزائر: 2011م-2012م جامعة الحاج لخضر، ص7.

² - إبراهيم إيرش، حول حدود استحضار المقدس في الأمور الدنيوية(ملاحظات منهجية في مجلة المستقبل العربي) بيروت، ع/80، 1994م، ص 5، نقلا عن: دليلة قسمية، استراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي، ص7.

المبحث الأول: ماهية الخطاب ودلالاته.

1- مفهوم الخطاب في الثقافتين العربية والغربية.

يُعدُّ لفظ الخطاب من الألفاظ التي تقترن بوصف مثل: الخطاب الثقافي، الخطاب الصوفي، الخطاب السياسي، الخطاب التاريخي، الخطاب الاجتماعي وما إلى ذلك.¹ لقد ورد مصطلح الخطاب عند العرب قديماً كما ورد عند الغرب، وسنورد معناه في الثقافتين العربية والغربية.

1-1- مفهوم الخطاب في التراث العربي:

ما يساعدنا على معرفة دلالة الخطاب في الثقافة العربية هو وروده في القرآن الكريم وفي المعاجم العربية، حيث جاء في معجم لسان العرب "لابن منظور" في مادة خطب: "الخطبُ: الشَّانُ أو الأمرُ، صَعْرٌ أو عَظْمٌ، وقيل: هو سَبَبُ الأمرِ يُقَالُ: ما حَظُّبُكَ؟ أي ما أمرك؟ وتقول: هذا حَظُّبٌ جَلِيلٌ، وحَظُّبٌ يَسِيرٌ، والخطبُ: الأمرُ الذي تقع فيه المُخاطَبَةُ، والشَّانُ والحَالُ، ومنه قَوْلُهُم: جَلَّ الحَظُّبُ أي عَظُمَ الأمرُ والشَّانُ والخطابُ والمُخاطَبَةُ: مُرَاجَعَةُ الكلامِ، وَقَدْ حَاطَبَهُ بالكلامِ مُخاطَبَةً وخطاباً، وهما يتخاطبان. اللَّيْثُ: والخطبةُ مَصْدَرُ الحَظِيبِ، وحَظَبَ الحَاطِيبُ على المُنْبَرِ، واختَطَبَ يَحْطُبُ خطابةً واسمُ الكلامِ: الخُطْبَةُ"².

¹ - ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، ط1، بيروت، لبنان: 2004م دار الكتاب الجديد المتحدة، ص34.

² - جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، تح: عامر أحمد حيدر، ط1، بيروت، لبنان: 1424هـ-2003م، دار الكتب العلمية، (مادة خطب)، ص 121-123.

وورد مصطلح خطاب عند "الجوهري" في الصحاح حيث قال: "الخطب: سبب الأمر تقول: ما خطبتك، وخطبت على المنبر خطبة بالضم، وخطبته بالكلام مخاطبة وخطاباً.¹" وجاء عن (الزمخشري): "خطبته أحسن الخطاب وهو المواجهة بالكلام، وخطب الخطيب خطبة حسنة"².

إن مفهوم الخطاب حسب "ابن منظور" و"الجوهري" وحتى "الزمخشري" لا يخرج عن صيغة التخاطبية بين شخصين، إذ تستوجب المخاطبة تحويل الكلام من المتكلم إلى المستمع، فجاءت هذه التعريفات اللغوية تُصِحُّ بأن معاني الخطاب تشير إلى مراجعة الكلام، والمواجهة بين الطرفين أحدهما مخاطب وثانيهما مخاطب، وهو بهذا يحيل إلى معنى الكلام.

لقد ورد لفظ الخطاب في القرآن الكريم بصيغ متعددة وفي أكثر من موضع سواء بصيغة الفعل أو بصيغة المصدر، فبصيغة الفعل نحو قوله تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [هود: 37] وقوله أيضاً: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: 63]، وبصيغة المصدر في قوله تعالى: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ [النبأ: 37] وقوله: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلْنَا الْخِطَابَ﴾ [ص: 20]، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً وَإِي نَعَجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ [ص: 23]³.

¹ - اسماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، بيروت، لبنان:

1990م، دار العلم للملايين، ج1، ص 121.

² - أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، دط، القاهرة، مصر: 1341هـ-1992م، دار الكتب

المصرية، ج1، 239.

³ - ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، ص 35.

فتفسير "الزمخشري" لكلمة الخطاب في قوله: ﴿يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾: "أي ليس في أيديهم ممّا يخاطب به الله ويأمر به في أمر الثواب والعقاب خطابًا واحدًا يتصرّفون فيه تصرّف الملاك فيزيدون فيه أو ينقصون منه أو لا يملكون أن يخاطبوه بشيء من نقص العذاب أو زيادة في الثواب.¹" ويُفسّر قوله: ﴿فَصَلَ الْخِطَابِ﴾: "يجوز أن يراد بمعنى الخطاب في الآية القصد الذي ليس فيه اختصار مُخَلِّ ولا إشباع مُمَلِّ، الفصل: التمييز بين الشئيين وقيل الكلام البين: فصل، بمعنى مفصول، لأنّهم قالوا: كلام ملتبس وفي كلامه لبس، والملتبس المختلط، فقيل في نقيضه: فصل أي مفصول بعضه عن بعض فمعنى فصل الخطاب: البين من الكلام المملّخ الذي يتبينه من يخاطب به ولا يلتبس عليه، وإن شئت كان الفصل بمعنى الفاصل، وأردت بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفاسد والصواب والخطأ وهو كلامه في القضايا والحكومات وتدابير الملك والمنشورات.² أمّا "الرازي" اعتبر أنّ فصل الخطاب صفة من الصفات التي أعطاها الله سبحانه وتعالى لداود عليه السلام وهي علامة من علامات قدرة الإدراك والشعور التي يميّز بها الإنسان عن غيره من الحيوانات والجمادات حيث قال في تفسيره لفصل الخطاب: "إنّ الناس مختلفون في مراتب القدرة على التعبير عمّا في الضمير فمنهم من يتعذر عليه إيراد الكلام المرتب المنتظم بل يكون مختلط الكلام مضطرب القول، ومنهم من يتعذر عليه الترتيب من بعض الوجوه، ومنهم من يكون قادرا على ضبط المعنى في حقّه أكمل كانت الآثار الصادرة عن النفس النطقية في حقّه أعظم، وكل من كانت تلك القدرة في حقّه أقل، كانت تلك الآثار أضعف، لأنّ فصل

¹- أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عادل عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط1، الرياض، الأردن: 1418هـ-1998م، مكتبة العبيكان، ج6، ص 302.

²- المرجع نفسه، ج5، ص 35.

الخطاب عبارة عن كونه قادرا على التعبير عن كل ما يخطر بالبال، ويحضر في الخيال، بحيث لا يختلط شيء بشيء ينفصل كل مقام عن مقام¹.

"الرازي" في تفسيره لهذه الآية الكريمة تنبّه إلى أنّ الناس لا يمتلكون نفس القدرات في الكلام والتعبير عن أفكارهم وإيصال رسائلهم إلى من يتخاطبون معهم "وبهذا التفسير تتضح أهمية الفروق الفردية التي تتفاوت من مرسل إلى مرسل آخر"².

أمّا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَزَّيْنِي فِي الْخُطَابِ﴾ يقول (الزمخشري): "غلبني يريد جاءني بحجاج لم أقدر أن أرد عليه ما أرد، أراد الخطاب، مخاطبة المحاج المجادل أو أراد خطب المرأة وخطبها وهو خاطبني خطابا، أي غالبني في الخطبة، فغلبني حيث زوجّها دوني وقرئ عازني من المعازة وهي المغالبة"³.

من خلال هذه التفسيرات للآيات الكريمة يتّضح أنّ للخطاب معاني مختلفة فقد جاء بمعنى الكلام وبمعنى الحجاج والجدال.

كما نجد أيضا مصطلح الخطاب عند النحاة، حيث "ورد اسم المفعول (المخاطب) عند النحاة للدلالة على طرف الخطاب الآخر، الذي يوجّه المرسل كلامه إليه وذلك عند حديثهم عن المضمرات."⁴ وهذا ما ورد عند "ابن يعيش" في كتابه المفصل، حيث ركز على طرفي الخطاب: المخاطب والمخاطب وضرورة استعمال أدوات لغوية للدلالة على طبيعة المخاطب ومن هذه الأدوات الضمائر المتصلة والمنفصلة حيث يقول: "المضمرات

¹ - محمد فخر الدّين الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ط1، بيروت، لبنان: 1401هـ-1981م، دار الفكر ج26، ص 187-188.

² - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، ص 35.

³ - الزمخشري، الكشاف، ج5، ص 255.

⁴ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، ص 35.

لا لبس فيها فاستغنت عن الصفات لأنّ الأحوال المقترنة بها قد تغني عن الصفات والأحوال المقترنة بها حضور المتكلم والمخاطب والمشاهدة لهما وتقدم ذكر الغائب الذي يصير بمنزلة الحاضر المشاهد في الحكم فأعرف المضمرات المتكلم لأنّه لا يوهمك غيره ثم المخاطب والمخاطب تلو المتكلم في الحضور والمشاهدة.¹

وكما كان أيضا لفظ الخطاب كثيرا ما يردُّ ويُتداول عند الأصوليين، حيث اعتنى علماء الأصول بمسائل تحليل الخطاب عناية فائقة، وقلّبوا النظر فيه أيّما تقليبٍ وآتوا بآراءٍ واجتهاداتٍ لافتةٍ، "لأنّ الغاية التي كان يستهدفها الأصولي هي معرفة كيفية اقتباس الأحكام من الأدلّة التي هي الخطاب، ولقد اهتمّ الأصوليون بالخطاب من خلال المعرفة به إجمالا من حيث مفهومه وأقسامه، وأنواعه ومضمونه وموضوعه."² وهذا يعني أنّ هدفهم من دراسة الخطاب وتتبع معانيه هو فهمهم للأحكام الشرعية، فبفهمهم للخطاب القرآني يستطيعون استنباط مختلف الأحكام فكان الخطاب بذلك الأرضية التي استقامت عليها أبحاثهم، بل كان هو محور عملهم، فقد وردت اشتقاقات مادة (خطب) في مواضع متعددة عندهم وخير دليل على ذلك هو إيرادهم لاسم الفاعل (مُخاطب) ولاسم المفعول (مُخاطَب) باعتبارهما طرفي الخطاب.³

فقد عرّفه بعض الأصوليين بأنّه: "أحد مصدري الفعل خاطَبَ يخاطِبُ خطاباً ومُخاطبةً وهو يدلُّ على توجيه الكلام لمن يفهم، نقل من الدلالة على الحدث المجرد عن الزمن إلى الدلالة على الاسمية، فأصبح في عُرف الأصوليين يدل على ما حُوّط به وهو

¹ - موقف الدّين ابن يعيش، شرح المفصل، دط، مصر: دت، إدارة الطباعة المنيرية، ج3، ص84-85.

² - إدريس حمّادي، الخطاب الشرعي وطرق استثماره، ط1، بيروت، لبنان: 1994م، المركز الثقافي العربي، ص 17.

³ - ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، ص 36.

الكلام.¹ فيتّضح من خلال هذا التعريف أنّ الخطاب لابدّ أن يكون موجّهاً إلى من يفهم الكلام أو من يملك القدرة على فهم الكلام الموجّه إليه وبهذا جُعِلَ الخطاب هو نفسه الكلام، وعرّفه بعضهم الآخر: "بأنّه الكلام الذي يفهم المستمع منه شيئاً"² وهذا يعني أنّ أي كلام له معنى يفهمه المتلقي هو خطاب، لكن هذا التعريف انتقده "الأمدي" واعتبره تعريفاً لا يتّسم بالدقّة إذ يرى أنّه: "يدخل فيه الكلام الذي لم يقصد المتكلم به إفهام المستمع."³ وذلك لأنّ الخطاب الغاية منه هي إفهام المخاطب، فيقول: "المعقول من قولنا: أنّه مخاطب لنا، أنّه قد وجّه الخطاب نحونا ولا معنى لذلك إلّا أنّه قصد إفهامنا ولأنّه لو لم يقصد إفهامنا كان عبثاً."⁴ وهذا يدلّ على أنّ غاية الخطاب هي إفهام المتكلم لمستمعه وإذا خرج الخطاب عن هذه الغاية يكون كلاماً عابثاً، ومن ثمّ أعطى "الأمدي" تعريفاً للخطاب أكثر دقة إذ يعرّفه: "أنّه اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو مُتَهَيِّئٌ لفهمه."⁵ فهو بهذا يرى بأنّه لابدّ من تواضع أو اتفاق المتكلم مع المستمع على اللفظ وأن يكون قصد المتكلم هو إفهام المستمع، وأن يكون أيضاً هذا المستمع قادراً على فهم قصد المتكلم، وفي تعريفه هذا أخرج العلامات غير اللغوية كالحركات والإشارات المُفهِمة لأنّها ليست ألفاظاً⁶، فهو بهذا قد حصر الخطاب على العلامات اللغوية الدّالة وعلى الكلام الموجّه للمستمع المُتَهَيِّئٌ للفهم والذي يُقصدُ من ورائه إفهام المُخاطب وأبعد العلامات غير اللغوية كالحركات والإشارات وكذا الكلام الموجّه لمن ليس قادراً على فهم

¹ - إدريس حمّادي، الخطاب الشرعي وطرق استثماره، ص 21-22.

² - المرجع نفسه، ص 22.

³ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁵ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، ص 36

⁶ - ينظر: إدريس حمّادي، الخطاب الشرعي وطرق استثماره، ص 23

قصد المتكلم والكلام الذي لم يقصد من ورائه إفهام المستمع لأنّ الفائدة من الخطاب هي إفهام المخاطب.

ويرى الإمام "الجويني" أنّ: "الكلام، والخطاب، والتكلم، والتخاطب، والنطق، واحد في حقيقة اللغة، وهو ما به يصير الحيّ مُتَكَلِّمًا، وقد قيل في حقيقته ما يفهم منه الأمر والنهي والخبر.¹ فحسب "الجويني" أنّ كل من الكلام والخطاب والتكلم والتخاطب والنطق هي ألفاظ لها المعنى اللغوي نفسه، وبهذا يكون الخطاب هو الكلام والنطق.

ومن وجهة نظره أنّ أي خطاب لابدّ وأن يُفهم منه الأمر والنهي والخبر، فما فهم منه أحد هذه الأمور فقد فهم الخطاب كلّهُ، فحسب رأيّه: "أنّ كل أمر نهي وخبر، وكل نهي أمر وكل خبر أمر ونهي"².

1-2- الخطاب في الثقافة الغربية:

لقد ورد الخطاب على مستوى الاشتقاق اللغوي في معجم الأجناس والمعاجم الأدبية "لألبن ميشال" (Albain Michel) أنّ: "لفظ الخطاب لم يكن متصلا في الأصل باللغة اتصالا مباشرا، إذ اللفظ (Discours) الفرنسي مشتق من الأصل اللاتيني (Discurrere) بمعنى الجري هنا وهناك، وعندما بدأت لفظة ديسكورسيس (Discursus) عند نهاية الحقبة اللاتينية تأخذ معنى الخطاب فقد كان معناها في البداية طريقا محفوظا

¹ - أبو المعالي الجويني، الكافية في الجدل، تح: فوقية حسين محمود، دط، القاهرة، مصر: 1399هـ-1979م مطبعة عيسى البابي الحلبي، ص 32.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

بالشكوك للمحادثة والمناقشة قبل أن تحيل اللفظة على تشكيل منطوق أو مكتوب للفكر"¹.

فمصطلح خطاب في التراث الغربي لم يكن يحيل إلى ما تدل عليه الكلمة في العصر الحديث حيث أصل كلمة خطاب كانت تحيل إلى معنى الجري هنا وهناك، ثم انتقلت لتدل على أنه طريق مخوف بالشكوك للمحادثة والمناقشة، وبعد ذلك أصبحت تُطلق على كل كلام سواء كان منطوقاً أو مكتوباً.

أمّا الخطاب في الأدبيات الحديثة: "بات مصطلحاً شائعاً في العديد من أفرع المعرفة منها النظرية النقدية، وعلم الاجتماع وعلم اللغة والفلسفة وعلم النفس الاجتماعي وغير ذلك حتى أنه أصبح يُترك دون تعريف كأنه أصبح من المسلمات"² بمعنى أنّ الخطاب يعتبر من المصطلحات الأكثر شيوعاً في مختلف المجالات والعلوم كعلم اللغة وعلم الفلسفة وعلم النفس والاجتماع وما إلى ذلك، "وقد ورد مصطلح الخطاب غالباً ولأول مرة عند هايمز"³، وهو في معناه الأساسي: "كل كلام تجاوز الجملة الواحدة سواء كان مكتوباً أو ملفوظاً غير أنّ الاستعمال تجاوز ذلك إلى مدلول آخر أكثر تحديداً يتصل بما لاحظته "بول غرايس" (Paul Graice) عام 1975م من أنّ للكلام دلالات غير ملفوظة يدركها المتحدث أو السامع دون علامة معلنة أو واضحة."⁴ ومعنى هذا أنّ

¹ Dictionnaire des genres et notions littéraires encyclopaedia universalis/Albain Michel

Paris, 2001, p.199، نقلاً عن: صابر محمود الحباشة، الأسلوبية و التداولية (مداخل لتحليل الخطاب)، ط1

الأردن: 1432هـ-2011م، عالم الكتب الحديث، ص 122.

² سارة ميلز، الخطاب، تر: عبد الوهاب علوب، ط1، القاهرة، مصر: 2016م، المركز القومي للترجمة، ص 13.

³ عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، ص 36.

⁴ ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد العربي، ط3، بيروت، لبنان: 2002م، المركز الثقافي العربي، ص

الخطاب هو كلام يتألف من مجموعة جمل فهو بذلك يتجاوز الجملة الواحدة ويكون إما مكتوبًا أو منطوقًا ويمكن للكلام -حسب "بول غرايس"- أن يتجسّد عبر علامات لغوية كالحركات والإشارات يفهمها المتكلّم والسامع.

والخطاب في نظر "جيوفري ليتش" (Geoffre Leach) و"مايكل شورت" (Michael Short) هو: "تواصل لغوي يُنظر إليه باعتباره عملية تجري بين متكلّم ومستمع، أو تفاعل شخصي يُحدّد شكله غرضه الاجتماعي".¹ وهذا يعني أنّ الخطاب عملية لغوية تواصلية بين المتكلّم والمستمع.

أمّا "هاريس" (Harris) فقد عرّف الخطاب: "بأنّه ملفوظ طويل أو هو متتالية من الجمل تتكوّن من مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض".² ويُفصّح هذا التعريف على أنّ الخطاب وحدة لغوية ينتجها الباث أو المتكلّم تتجاوز أبعاد الجملة أو الرسالة.

لقد اجتهد اللغويون وحاولوا إعطاء تعريف دقيق للخطاب، ف "جون ديبوا" (John Dubois) في معجمه اللسانيات يُقرّ بأنّ الخطاب: "يدل على أربعة معانٍ: يمكن إرجاع اثنين منها إلى اختلاف في التسمية، فالمعنى الأول يُرادف فيه الخطاب الكلام والمعنى الثاني يرادف فيه الخطاب القول أو الملفوظ".³ حيث يعرفه بأنّه: "الكلام الموضوع في

¹ - سارة ميلز، الخطاب، تر: عبد الوهاب علوب، ص 15.

² - نور الدّين السّد، الأسلوبية وتحليل الخطاب (دراسة في النّقد العربي الحديث)، دط، الجزائر: 2010م، دار هومة ج2، ص 19.

³ - J. Dubois et al: Dictionnaire de linguistique, Larousse, Paris, 2001، نقلا عن: صابر محمود الحباشة، الأسلوبية و التداولية (مداخل لتحليل الخطاب)، ص 104.

الاستعمال أو اللغة المصطنعة من طرف الفاعل المتكلم.¹ ومن خلال هذا المفهوم يكون الخطاب مرادفا للكلام.

ويعرّفه أيضا بأنه: "وحدة مساوية للجملة أو هي أكبر منها وتتشكل هذه الوحدة من متتالية تكوّن رسالة ذات بداية ونهاية."² أمّا هذا التعريف يدل على أنّ الخطاب يرادف الملفوظ أو القول.

كما نجد أيضا الباحثة "ديبورا شيفرن" (Deborah Chevron) قد عرضت ثلاثة تعريفات للخطاب هي: "الخطاب بوصفه أكبر من الجملة أو بوصفه استعمال أي وحدة لغوية أو بوصفه الملفوظ"³ فالتعريف الأول والثاني اللذين عرضتهما الباحثة يجسدان تحديد المنهجين الشكلي والوظيفي للخطاب، أمّا التعريف الثالث فهو يمثل نقطة التقاطع بين هذين المنهجين، "إذ يتجسد المنهج الشكلي في تعريف الخطاب الأول، وذلك بوصفه تلك الوحدة الأكبر من الجملة، فتتجه عناية الباحث بعناصر انسجامه وترابطه وتركيبه ومعرفة علاقة وحداته بعضها ببعض، بل ومناسبة بعضها للبعض الآخر، وذلك على مستوى بنيته المنجزة."⁴ أي أنّ الخطاب حُدّد في ضوء الدراسات الشكلية على أنه الوحدة الأكبر من الجملة، فالباحث يصبُّ اهتمامه على بنيته من حيث اتساقها وانسجامها ومعرفة العلاقات بين وحداتها.

وتعريف الخطاب الثاني بوصفه استعمال اللغة "يمثله الاتجاه الوظيفي، وذلك بتجاوز وصف الخطاب وصفا شكليا، وعدم الاكتفاء بالوقوف عند بيان علاقة وحدات

¹- يُنظر: صابر محمود الحباشة، الأسلوبية و التداولية (مداخل لتحليل الخطاب)، ص 104.

²- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، ص 37.

⁴- المرجع نفسه، ص 38.

الخطاب بعضها ببعض وتحليلها والدعوة إلى ضرورة الاعتناء بدور عناصر السياق ومدى توظيفها في إنتاج الخطاب وفي تأويله.¹ وهذا يعني أنّ الاتجاه الوظيفي ركّز الاعتناء بالعناصر السياقية ودورها في بناء الخطاب من جهة وتأويله من جهة أخرى وحسب هذا الاتجاه فإنّ الخطاب هو استعمال للغة في سياق تواصلية .

أمّا التعريف الثالث بوصف الخطاب ملفوظاً "يمثل نقطة التقاطع بين المنهج الشكلي والمنهج الوظيفي أي بين البنية والوظيفة، وقد يتخذ من الجملة أساساً له، ولكن ليس بوصفها العرفي التجريدي بل بمفهومها التلفظي في السياق."² وهذا يعني أنّ الخطاب وحدة لغوية كبيرة يتكوّن من مجموعة الوحدات اللغوية الصغيرة التي لها سياق معيّن وبعبارة أدقّ أنّ الخطاب مكوّن من جمل سياقية.

و"إميل بنفنيست" (Emil Benveniste) يرى أنّ الخطاب هو كلام أو تلفظ يقتضي وجود متكلّم أو مستمع فيحدّد تعريفه بقوله: "هو نطاق التواصل، ولا بدّ من فهم الخطاب بمعناه الأشمل: فكل كلمة لها قائل ومستمع ولدى المستمع نية التأثير في غيره بصورة ما."³ ويتّضح من تعريف "بنفنيست" هذا للخطاب أنّه عملية تفاعلية، تواصلية وتداولية تتشكّل من ثلاثة أطراف: مُرسل، مُرسَل إليه، ورسالة، وهذا ما يتوافق مع مدوّنة بحثنا (الأربعون النووية)، إذ يكون المرسل هو الرسول-صلى الله عليه وسلّم- والمرسل إليه: جميع المؤمنين من الصحابة وعامة الناس، والرسالة تتمثل في الأحاديث المرّوية في هذه المدوّنة.

¹ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ - سارة ميلز، الخطاب، تر: عبد الوهاب علوب، ص 16-17.

من خلال ما سبق تبيانه يمكن القول أنّ مصطلح الخطاب يحمل دلالات ومفاهيم تكاد تُصَبُّ في معنى واحد وهو الكلام والتلفظ أو القول، وبالتالي فإنّ هناك من ربط النَّصّ بالخطاب وجعل لهما تعريفاً موحّداً، إذ نجد كثيراً من الدراسات والأبحاث قد استعملت مصطلح النَّصّ لتدلّ على الخطاب ونجد أيضاً كثيراً منها استعملت الخطاب وهي تقصد النص، في حين هناك من فرّق بينهما وجعل لكلّ منهما تعريفاً خاصاً.

وإذا عدنا إلى تحديد ماهية النَّصّ فسنورد مفهومه في المنظورين العربي والغربي ثم نحدّد أين يلتقي الخطاب مع النَّصّ وأين يفترقان.

1-3- النّص في المنظور العربي:

1-3-1- لغة: تتعدّد معاني هذه المفردة في اللغة العربية بتعدد استعمالاتها، وهي غير دخيلة على اللغة العربية وخير دليل على ذلك هو الرجوع إلى المعاجم العربية القديمة حيث جاء في لسان العرب في مادة نصص قوله: "النّص رَفَعَكَ الشَّيْءُ، نَصَّ الحَدِيثَ يَنْصُهُ نَصًّا: رَفَعَهُ وَكُلُّ مَا أَظْهَرَ، فَقَدْ نُصَّ، وَقَالَ عمرو بن دينار: ما رأيتُ رجلاً أنصَّ للحديث من الزُّهري أي أَرَفَعَ لَهُ وَأَسَدَّهُ، يقال: نَصَّ الحَدِيثَ إلى فلانٍ أي رَفَعَهُ، وكذلك نَصَّصْتُهُ إِلَيْهِ، وَنَصَّصْتُ الطَّبِيئَةَ جِيذَهَا: رَفَعْتُهُ، وَوَضِعَ عَلَى المِنْصَةِ أي على غَايَةِ الفَضِيحَةِ والشُّهْرَةِ والظُّهُورِ، والمِنْصَةُ: ما تُظْهَرُ عَلَيْهِ العُرُوسُ لِتُرى، وَنَصَّ المَتَاعُ نَصًّا: جَعَلَ بَعْضُهُ على بَعْضٍ وَنَصَّ الدَّابَّةَ يَنْصُهَا نَصًّا رَفَعَهَا فِي السَّيْرِ... والنّصّ والنّصيصة: السَّيْرُ الشَّدِيدُ والحَتُّ، وقيل: نَصَّصْتُ الشَّيْءَ رَفَعْتُهُ وَحَرَكْتُهُ، وقال الأزهري: النّصّ أَصْلُهُ مُنْتَهَى الأَشْيَاءِ وَمَبْلُغُ أَفْصَاهَا وَمِنْهُ قِيلَ: نَصَّصْتَ الرَّجُلَ إِذَا اسْتَقْصَيْتَ مَسْأَلَتَهُ عن الشَّيْءِ حَتَّى تَسْتَخْرِجَ كُلَّ ما عنده وكذلك النّصّ في الِيسِيرِ إنّما هو أَقْصَى ما تُقَدِّرُ عليه الدَّابَّةُ، فَنَصَّ الحِقَاقِ إنّما هو الإِذْرَاقُ... وَنَصَّصَ الرَّجُلَ فِي مَشْيِهِ: اهْتَرَّتْ مُنْتَصِبًا، وَانْتَصَّصَ

الشَّيْءَ وَإِنْتَصَبَ إِذَا اسْتَوَى وَاسْتَقَامَ... وَقَوْلُ الْفُقَهَاءِ نَصُّ الْقُرْآنِ وَنَصُّ السُّنَّةِ أَي مَا دَلَّ ظَاهِرُ لَفْظِهِمَا عَلَيْهِ مِنَ الْأَحْكَامِ"¹.

ورود في قاموس المحيط: "نَصَّ الْحَدِيثَ إِلَيْهِ رَفَعَهُ، وَالنَّصُّ الْإِسْنَادُ إِلَى الرَّئِيسِ الْأَكْبَرِ وَالْتَوَفِيقُ وَالتَّعْيِينُ عَلَى شَيْءٍ مَا، وَنَصَّصَ غَرِيمَهُ، وَنَاصَهُ: اسْتَقْصَى عَلَيْهِ وَنَاقَشَهُ."²

المُلاحَظُ من هذه المَعَانِي أَنَّ جَمِيعَهَا تُقِيدُ أَنَّ النَّصَّ هُوَ مَا يَرْتَفِعُ وَيَظْهَرُ وَيَسْتَقْصِي أَي أَنَّهَا تَجْتَمِعُ عَلَى مَعْنَى الارتفاع والظهور والاستقصاء.

1-3-2- اصطلاحاً: إنَّ البحث عن معنى النَّصِّ في التراث اللغوي العربي ومفهومه

في الدِّراسات اللغوية الحديثة أمر يكاد يكون صعباً نوعاً ما، لأنَّ مفهوم النَّصِّ عند علماء اللغة العربية يختلف تماماً عن المفهوم الذي يحمله اليوم، فاستعمال النحاة لكلمة نص لا يكاد يَمُتُّ بصلَة إلى ما نعنيه اليوم بهذه الكلمة، فالنَّصُّ عند النحاة القدامى هو لفظ يدلُّ على معنى الحدث والقيام بالعمل، وهو عندنا اليوم لفظ تمخَّض للاسمية ويدلُّ على معنى الاسم.³

ولقد لقي مصطلح النَّصِّ اهتماماً كبيراً عند الأصوليين شأنه في ذلك شأنَ الخطابِ وذلك لأهمية هذا المصطلح في قضية علاقة اللفظ بالمعنى، حيث أطلقوا بعض المصطلحات على بعض الألفاظ "فأما الذي يرتبط بوضوح المعنى فذلك هو:

¹ ابن منظور، لسان العرب، ج7، مادة (نصص)، ص 97-98.

² الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم الوقسوسي، ط8، بيروت، لبنان: 1426هـ-2005م، مؤسسة الرسالة، ص 632-636.

³ ينظر: محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية (تأسيس نحو النص)، ط1، تونس: 1421هـ-2001م، مكتبة الأدب المغربي، ج1، ص 185-186.

الظاهر والنص والمفسر والمحكم والذي يرتبط بغموض المعنى فذلك هو: الخفي والمشكل والمجمل والمشابه¹، وما يهمننا من هذه المصطلحات هو النص، فالنص عندهم هو: "الذي نجد فيه زيادةً ووضوحًا إذ يُفهم منه معنى لم يُفهم من الظاهر"². أي ما يتضح معناه وما رُفِعَ بَيَانُهُ إلى أقصى حدٍّ، وهذا ما يتوافق مع التعريف اللغوي للنص الذي يُفِيدُ الإظهارَ والرَّفْعَ والبيانَ.

ويعرّف "محمد الشريف الجرجاني" النص بقوله: "النص ما ازداد وضوحا على الظاهر لمعنى في المتكلم وهو سَوَّقُ الكلامِ لأجل ذلك المعنى، والنص ما لا يحتمل إلا معنى واحدًا وقيل: ما لا يحتمل التأويل."³ فالنص عند "الجرجاني" هو ما يُوضِّحُ المعنى للمتكلم أكثر من الظاهر وهو عنده يحمل معنى واحدا ولا يقبل التأويلات على عكس الظاهر.

وللنص مفهوم آخر عند الأصوليين حيث يطلقونه على "كلِّ ملفوظٍ مفهوم المعنى من الكتاب والسنة سواء أكان ظاهرا، مُفسِّرا، أي كل ما ورد عن صاحب الشرع فهو نص وهو عندهم قسمان: أحدهما: يقبلُ التأويلَ وهو نوعٌ من النص مرادفٌ للظاهر، والثاني: لا يقبلُ التأويلَ وهو النص الصريح كلفظ الخمسة مثلا فهو لا يقبل الأربعة أو الستة."⁴ وهذا يعني أن كل ما ورد في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف هو نص وهذا الأخير ينقسم إلى قسمين، قسم هو ذلك النص الذي يحتوي

¹ - أحمد عبد الغفار، التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه، دط، الإسكندرية، مصر: 1996م، دار المعرفة الجامعية ص 143.

² - المرجع نفسه، ص 144.

³ - علي بن محمد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دط، القاهرة، مصر: دت، دار الفضيلة، ص 202-203.

⁴ - أحمد عبد الغفار، التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه، ص 46.

على عدّة تأويلات ومعانٍ، وقسم آخر هو ما دلّ لفظه على معناه أي ما يحمل معنى واحداً ولا يقبل التّأويل.

معاني النّص عند القدماء (النحاة والفقهاء والبلاغيين) تختلف عمّا هي عليه اليوم في الثقافة العربية المعاصرة، فقد تعدّدت تعريفاته واختلفت بين علماء اللغة فهناك التّعريف البنيوي، وتعريف اجتماعيات الأدب، والتّعريف النفساني الدلالي، وتعريف اتجاه تحليل الخطاب¹، فقد عرّفه "محمد مفتاح" بقوله: "النّص مدوّنة كلامية: يعني أنّه مؤلف من الكلام وليس فوتوغرافية أو رسماً أو عمار أو زياً.

حدث: إنّ كل نص هو حدث يقع في زمان ومكان معينين لا يعيد نفسه إعادة مطلقة مثله في ذلك مثل الحدث التاريخي.

تواصل: يهدف إلى توصيل معلومات ومعارف ونقل تجارب إلى المتلقي.

تفاعلي: على أنّه الوظيفة التواصلية في اللغة ليست هي كل شيء فهناك وظائف أخرى للنّص اللغوي أهمها الوظيفة التفاعلية، التي تقيم علاقات اجتماعية بين أفراد المجتمع وتحافظ عليها.

مغلق: ونقصد انغلاق سمته الكتابية الأيقونية التي لها بداية ونهاية.

توالدي: إنّ الحدث اللغوي ليس منبثقا من عدم وإنّما هو متولّد من أحداث تاريخية ونفسانية ولغوية، وتتناسل منه أحداث لغوية أخرى لاحقة له.

¹ - ينظر: محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، ط3، 1992م، المركز الثقافي العربي، ص

فالنّص إذن: مدونة حدث كلامي ذي وظائف متعددة.¹ ومن خلال هذا التعريف حدّد "محمد مفتاح" للنّص جملة من الخصائص والجوانب التي تُسهّم في تكوينه ومجموعة من الوظائف التي يؤديها أثناء العملية التواصلية.

وهو حسب "طه عبد الرحمان": "بناء يتركّب من عدد من الجمل مرتبطة فيما بينها بعدد من العلاقات، وقد تربط هذه العلاقات بين جملتين أو أكثر.² وهذا يعني أنّ مجموعة من الجمل المترابطة فيما بينها هو ما يشكّل لنا النّص.

4-1 النّص في المنظور الغربي:

إذا تتبعنا معاني هذه الكلمة في التراث الغربي نجد أنّ "مصطلح نص في العربية يقابله (Texte) في اللغات الأعجمية وهو وفي اللاتينية (Textus) بمعنى النسيج فالنّص نسيج من الكلمات يترايط بعضها ببعض هذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كل واحد، هو ما نطلق عليه مصطلح نص.³ وبهذا فالأصل اللاتيني لهذا المصطلح يحيل إلى النّسيج، فنسيج من الكلمات المترابطة مع بعضها البعض تشكّل النص.

ولقد اختلفت الرؤى بين الباحثين الغربيين حول مفهوم النص، وذلك بحسب اختلاف الجهة الفكرية التي تتبناه، فعلماء النص أمثال "هاليداي" (Halliday) و"رقية حسن" (Rokaya Hassan) يرونه متتالية من الجمل، "شريطة أن تكون بين هذه

¹ - محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، ص 120.

² - عبد الرحمان طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط2، الدار البيضاء، المغرب: 2000م، المركز الثقافي العربي، ص 35.

³ - الأزهر الزنّاد، نسيج النص (بحث في ما يكون به الملفوظ نصا)، ط1، الدار البيضاء، المغرب: 1993م، المركز الثقافي العربي، ص 12.

الجملة علاقات أو على الأصح بين عناصر هذه الجملة علاقات تتم هذه العلاقات بين عنصر وآخر وارد في جملة متابعة أو جملة لاحقة أو بين عنصر وبين متتالية برمتها سابقة أو لاحقة.¹ ويعرفه الناقد "تريفيتان تودوروف" (Tzvetan Todorov) بقوله: "يمكن للنص أن يكون جملة كما يمكنه أن يكون كتاباً تاماً وهو يُعرفُ باستقلاله وانغلاقه."² فالنص حسب إنتاج لغوي مُنغلقٌ على ذاته ومُستقلٌ بدلالته وقد يكون جملةً أو كتاباً بأكمله.

ويذهب "برنكر" (Brinker) إلى إيراد مفهوم النص الذي يجعله: "تتابعاً مترابطاً من الجمل، هذا يعني أنّ الجملة تمثل جزءاً صغيراً يرمز إلى النص ويمكن تحديد هذا الجزء بوضع نقطة أو علامة استفهام أو علامة تعجب، ثم يمكن بعد ذلك وصفها على أنّها وحدة مستقلة."³ ومعنى هذا أنّ النص مكوّن من عدّة جمل، والجملة جزء منه والنص يمثّل الكل، فهنا تظهر علاقة بين الجملة والنص وهي علاقة الجزء بالكل وحسب "برنكر" نحن قادرون على وضع ما يُحدّد هذا الجزء أي الجملة وذلك من خلال علامات الوقف كالنقطة وعلامة الاستفهام والتعجب وما إلى ذلك.

أمّا "بول ريكور" (Paul Ricor) ينطلق في تعريفه للنص من خلال اهتمامه بالكتابة حيث يقول: "ألا فلنسم نصّاً كل خطاب ثبتته الكتابة، والتثبيت بواسطة الكتابة يُعدّ جزءاً من النص نفسه."⁴ ومعنى هذا أنّ النص عند "ريكور" كلُّ خطابٍ أو كلامٍ

¹ - محمد خطابي، لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، ط3، بيروت، لبنان: 2012م، المركز الثقافي العربي ص 13.

² - منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ط1، 2002م، مركز الإنماء الحضاري، ص 122.

³ - سعيد حسن بحيري، علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات)، ط1، القاهرة، مصر: 1997م، دار نوبار، ص 103.

⁴ - منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص 127.

كان مكتوبًا، فهو بهذا حصره وربطه بكلِّ مُنتَجٍ كتابي أكثر منه بالكلام الشفهي فهنا يُفصِّحُ عن العلاقة بين النَّصِّ والخطاب التي ترتبط بالكتابة.

و"جوليا كريستيفا" (Julia Kristeva) تنظر إلى النَّصِّ على أنه: "جهاز عبر لساني يُعيدُ توزيع اللسان (Langue) عن طريق ربطه بالكلام (Parole) التواصلي راميا بذلك إلى الإخبار المُباشِر، مع مختلف أنماط الملفوظات السَّابِقة والمعاصرة."¹ وهذا يدلُّ على أنَّ النَّصِّ إنتاج يُبرز العلاقة بين اللسان والكلام في موقف تواصلي تظهر من خلال عملية إعادة توزيع الملفوظات (أي البناء والهدم) والنَّصِّ ترجمة لعملية الكلام عن طريق تقييده بالكتاب والهدف منه الإخبار وإيصال المعلومات ويتم ذلك بطرق فنيَّة نستعمل فيها مختلف أنماط الألفاظ ولاسيما استخدام أساليب إنشائية وبلاغية فنيَّة.

ونجد العالم اللغوي "لويس هيلمسليف" (Louis Hjelmslev) يرى أنَّ النَّصِّ يرتبط بالملفوظ اللغوي مكتوبا كان أم شفويا طويلا أو قصيرا، حيث يقول: "إنَّ أبعاد العلامة لا تمثل منظورا مناسباً لتحديدتها بحيث نجد أنَّ كلمة واحدة مثل "نار" يمكن أن تكون علامة مقابل عمل روائي ضخم مثلا، فكل منهما يمكن اعتباره نصًّا"².

و"روبرت دي بوجراند" (Robert De Beaugrand) وسَّع مصطلح النَّصِّ ليشمل أي علامة لغوية دالة سواء مكتوبة أو منطوقة، وعلامات غير لغوية مرئية كلغة

¹ - سعيد يقطين، انفتاح النَّصِّ الرَّوائي (النَّصِّ والسياق)، ط2، الدار البيضاء، المغرب: 2001م، المركز الثقافي العربي، ص 19.

² - صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النَّصِّ، دط، دت، عالم المعرفة، ص 214.

الإشارات فالنص حسبه: " قد يتألف من عناصر ليس لها ما للجملة من شروط مثلا علامات الطرق والإعلان والبرقيات ونحوها"¹.

المُلاحظ من خلال ما سبق ذكره في -تعريف النص في المنظورين العربي والغربي- أنّ جذر كلمة "النص" يختلف اختلافا جذريا في الثقافتين، والأصل اللاتيني هو الذي اعتمد عليه الغربيون في تحديد ماهية النص باعتباره مجموعة من الكلمات والجمل المترابطة والمتماسكة كالنسيج.

1-5- التعريف الجامع بين الخطاب والنص:

من الباحثين الذين ربطوا الخطاب بالنص وجعلوا لهما تعريفا موحدا "رومان جاكبسون" (Roman Jacobson) في تعريفه للخطاب الأدبي إذ حدّده على أنّه: "نص تغلبت فيه الوظيفة الشعرية للكلام وهو يُضفي حتما إلى تحديد ماهية الأسلوب بكونه الوظيفة المركزية المنظمة، ولذلك كان النصّ عنده خطابا تركب في ذاته ولذاته."² وهذا يدلّ على أنّ "جاكبسون" اعتبر الخطاب هو نفسه النصّ. وهذا مانجده أيضا عند "جوليا كريستيفا" إذ تجمع بين المصطلحين (الخطاب والنص) في كتابها علم النصّ إذ تقول في تعريفها للنصّ الأدبي: "هو خطاب يخترق حاليا وجه العلم والإيديولوجية والسياسة ويتنطع لمواجهتها وفتحها وإعادة صهرها، ومن حيث هو خطاب متعدّد، ومتعدّد اللسان أحيانا ومتعدّد الأصوات غالبا (من خلال تعدّد أنماط الملفوظات التي يقوم بمفصلتها) يقوم النصّ باستحضار (Presentifie) كتابة (Graphique)، ذلك البلور الذي هو محمل الدلالية المأخوذة في نقطة معينة من لا تتأهياها أي كنقطة من التاريخ الحاضر حيث يلحُ

¹ روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسن، ط1، القاهرة، مصر: 1418هـ-1998م، علا الكتب، ص 97.

² نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب (دراسة في النّقد العربي الحديث)، ص 11.

هذا البعد اللامتناهي.¹ هذا التعريف يُعَرَّفُ على أنّ "كريستيفا" اعتبرت النّص هو خطاب يخترق جميع المجالات في وقتنا هذا سواء كان خطابا سياسيا أو إيديولوجيا إلى غير ذلك، وكون النّص خطابا فإنّه متعدّد الأشكال من حيث اللغة والأصوات وأنماط الملفوظات.

"رولان بارث" (Roland Barth) هو الآخر له النظرة نفسها في اعتبار الخطاب هو النّص وملازمته له إذ يرى أنّ: "النّص يظلُّ على كل الأحوال متلاحما مع الخطاب وليس النّص إلا خطابًا ولا يستطيع أن يتواجد إلا عبر خطاب آخر.² فهو يُفصِح من خلال هذا التعريف أنّ النّص لا يمكن أن يتواجد إلا بوجود الخطاب، أي إنتاج النص - حسب رأيّه- يكون على خلفية الخطاب وهذا ما يُعرف بالتناص (Intertextualité).

1-6- التعريف الفارق بين الخطاب والنّص:

لقد تعدّدت الآراء واختلفت التصورات حول التمييز بين النّص والخطاب، حيث نجد "فان ديك" (Vandjik) يرى أنّ: "أي تحديد للنّص يقتضي وجود نظرية أدبية ولذلك دعا إلى إعادة بناء الأقوال ليس على شكل جمل وإنّما على شكل وحدة أكبر وهي النّص ويعني به البناء النظري التحتي لما يسمى عادة خطابًا.³ ومعنى هذا أنّه يدعو إلى تجاوز حدود الجملة في بناء الأقوال والإعتماد على الوحدة الأكبر منها وهي النّص الذي يتجسّد من خلال الخطاب بفعل تواصله وعلى هذا الأساس لاحظ "فان دايك" ذلك التداخل الحاصل بين النّص والخطاب فحاول التمييز بينهما حيث رأى أنّ: "الخطاب هو

¹ جوليا كريستيفا، علم النص، تر: فريد الزاهي، مراجعة: عبد الجليل ناظم، ط2، دار البيضاء، المغرب: 1997م ص 13-14.

² نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب (دراسة في النّقد العربي الحديث)، ص 34.

³ محمد خطابي، لسانيات النّص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، ص 29.

في أن واحد فعل الإنتاج اللفظي ونتيجته الملموسة والمسموعة والمرئية، بينما النص هو مجموعة البنيات النسقية التي تتضمن الخطاب وتستوعبه، وبتعبير آخر إن الخطاب هو الموضوع المجسد أمامنا كفعل، أما النص فهو الموضوع المجرد والمفترض، إنه نتاج لغتنا العملية.¹ فالخطاب يرتبط بالتلفظ أو الإنتاج اللفظي الآني يحمل معاني ودلالات معينة حيث تتفاعل عناصره من متكلم ومستمع أثناء العملية التواصلية وفي سياقات محددة تبيّن نفسية وثقافة الأطراف المشاركة فيه (المتكلم والمتلقي) أما النص فهو يرتبط بالكلام أو الملفوظ المجرد في الكتابة وهو يحتوي تلك المعاني والدلالات التي يحملها وعلى هذا الأساس رأى "فان ديك" أن النص يتجسد من خلال الخطاب ويتضمنه، فإذا تمّ تجسيد النص في مواقف وسياقات محددة يتحوّل بذلك إلى خطاب.

أما "شلوميت" (Shlomit) تحدّد النص استناداً على القراءة فتربطه بكل ما نقرأ إذ تعتبره هو ما يمكن قراءته²، وما نفهمه من نظرتها هذه للنص أنها تربطه بالقراءة وتضبطه بالكتابة، أما الخطاب فيرتبط بكل ما نسمعه، وبعبارة أدقّ النص هو كلّ كلام أو ملفوظ مكتوب، أما الخطاب فهو كلّ كلام شفوي.

ويرى "ميشال آدم" (Michel Adam) أن الخطاب أشمل من النص وذلك في قوله: "النص هو الفضاء الأرحب في ممارسة الكتابة، النص واحد والخطاب أخطبة."³ ويتّضح من قول "ميشال" أن الخطاب أشمل من النص فالأول يتجسد في أنماط وأشكال أما الثاني فهو واحد.

¹ سعيد يقطين، انفتاح النصّ الروائي (النصّ والسياق)، ص 16.

² ينظر: سعيد يقطين، انفتاح النصّ الروائي (النصّ والسياق)، ص 11.

³ عبد المالك مرتاض، نظرية النصّ الأدبي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ص 3، 5، نقلاً عن: بشرى بوشلاغم، نظرية النصّ عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، مذكرة مقدمة لنيل الماجستير، 2010-2011م، جامعة فرحات عباس، سطيف، ص 59.

وعلى أساس ما تقدّم واستناداً على رؤى الباحثين يُمكننا أن نستنتج بعض الفروقات الحاصلة بين مصطلحي الخطاب والنّص ونُلخصها في النقاط التالية:

- إذا نظرنا إلى المقاربة المفهومية بين النّص والخطاب نُقرُّ بأنّ النّص لم يرد في القرآن الكريم، فيما تکرّر استخدام لفظ الخطاب، وهذا يدلّ على أنّ الخطاب أوسع وأشمل من النّص، فيمكننا اعتبار النّص جزءاً من الخطاب.

- الخطاب يكون شفويًا، في حين أنّ النّص يكون مكتوباً أي مجسّد في الكتابة.

- الخطاب يفترض وجود مخاطب ومخاطب أثناء عملية التواصل في حين أنّ النّص يتطلّب كاتباً وقارئاً له.

- الخطاب يتميّز بالطّول ويظهر ذلك من خلال تعريف "هاريس" له، أمّا النّص قد يكون قصيراً فيمكن أن يكون حتى كلمة واحدة، وهذا ما يُبيّنه تعريف "هيلمسليف".

2- قوانين الخطاب (Loi de discours):

تلعب قوانين الخطاب دوراً هاماً وفاعلاً في إنجاح العملية التّخاطبية، حيث أنّها تُوضّح دلالة الكلام والأقوال، كما تساهم في تأويل الملفوظات وبيان القصد منها، لذلك هي مرتبطة بالخطاب، ونجاحه متوقف على هذه القوانين التي يعتمدها المتخاطبون كونها تقوم على توجيه الكلام من المتكلّم إلى المستمع فتُمكنه من فهم الخطاب واستنتاج الغاية منه، وتتمثّل هذه القوانين في:

1-2- قانون مبدأ التعاون (Loi de cooperation):

ورد نص هذا المبدأ في

اللسانيات الحديثة عند الفيلسوف الأمريكي "بول غرايس"، إذ ذكره لأول مرة في دروسه المعنونة بمحاضرات في التّخاطب، وذكره ثاني مرة في مقالته الشهيرة المنطق

والتخاطب¹، واعتبر هذا المبدأ بأنه مُتَحَكِّمًا في الخطاب حيث عرّفه بقوله: "يتعين على مساهمتكم في المحادثة أن تتطابق في المرحلة التي بلغت مع ما يقتضيه منكم الغرض والوجهة اللذان ارتضيتموهما في عملية التّخاطب التي شرعتم فيها."² بمعنى أنّه على أطراف الخطاب أن تتعاون فيما بينها لتحقيق المقاصد المطلوب، وأن يكون المُشارك في الخطاب مُتعاونًا، وذلك لتسهيل الأقوال وإدراك المقاصد من أجل إنجاحه، وبمعنى آخر على المتكلم والمستمع أن يتعاونوا على تحقيق الهدف من الخطاب أو الحوار الذي دخلا فيه ويظهر هذا التّعاون في أن يسمح طرفي الخطاب بحق التّأوُّب على الكلام وتبادلته "إنّ مبدأ التعاون لا يستلزم تناغمًا تامًا بين المتفاعلين، ذلك أنّ كل تفاعل يسري في التوترات، غير أنّه حتى في حال التفاعل الأكثر سجالًا، يجب توفر حدّ أدنى من التعاون وإرادة مشتركة في احترام بعض القواعد."³ أي أنّ التفاعلات الحوارية، تبلغ مقاصدها بمقتضى مبدأ التعاون القائم بين طرفي الخطاب وبعبارة أخرى لولا هذا المبدأ لما حصل التفاعل بين المتخاطبين، وهذا يعني أنّه لا بدّ من توفر هذا القانون في العملية الخطابية.

ولقد ترتب عن مبدأ التعاون أربع قواعد وضعها "غرايس" (يطلقُ عليها البعض اسم حكم المحادثة) وهي الكم، والنوع، والعلاقة، والكيف⁴.

¹ عبد الرحمان طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط1، الدار البيضاء، المغرب: 1998م، المركز الثقافي العربي، ص 238.

² آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم (علم جديد في التواصل)، تر: سيف الدين دغفوس، مراجعة: لطفي زيتوني، ط1، بيروت، لبنان: 2003م، دار الطليعة، ص 273.

³ دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، ط1، الجزائر: 1428هـ-2008م منشورات الاختلاف، ص34.

⁴ ينظر: آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم (علم جديد في التواصل)، ص 273.

وقواعد المحادثة (Règles de la conversation) هي:

- قاعدة الكم (Maxime de quantité): تُعنى هذه القاعدة بكمية المعلومات التي يجب توفرها، وتقديم الكم الكافي منها حتى يكون هناك تفاعل بين المتكلم والمستمع وترتبط بقاعدتين، إحداهما: ليكن في مساهمتك قدر من المعلومات يساوي ما هو مطلوب وثانيهما: لتكن مساهمتك غير محتوية على قدر من المعلومات يفرق ما هو مطلوب.¹

فالقصد من هذه القاعدة هي منع المتحاورين من أن يزيدوا أو يُنقصوا من مقدار الغاية المطلوبة، إذ لا بد أن تكون مساهمة المخاطب في إفادة المخاطب على قدر حاجته أي تساوي ما هو مطلوب، وأن لا تكون إفادته تتجاوز الحد المطلوب.

- قاعدة النوع (Maxime de qualité de manière): "تتصل بها قاعدة جوهرية: لتكن مساهمتك صادقة وترتبط بقاعدتين فرعيتين:

- لا تُثبت ما تعتقد أنه كاذب.

- لا تُثبت ما تعوزك الحجة عليه.² يعني أنه لا بد من المخاطب أن يقدم للمخاطب معلومات دقيقة وواضحة وأن يكون مُتأكدًا من صحتها وأن يمتلك الحجة عليها.

- قاعدة الكيف (Maxime de manière): تُركّز هذه القاعدة على الكيفية التي يكون عليها كلام المخاطب، أي كيف ينبغي أن يتكلم مع مُستمعيه، إذ "تتصل بقاعدة جوهرية هي كن واضحاً ورأى "غرايس" أن هذه المقولة ليس على ما قيل وإنما مدارها على كيف ينبغي أن نقول ما نقوله بحيث: تجنب التعبير بغموض، تجنب اللبس الإيجاز

¹- يُنظر: المرجع نفسه، ص 270.

²- أن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم (علم جديد في التواصل)، ص 270.

وترتيب الكلام.¹ بمعنى أنه على المتكلم أن يكون واضحاً في كلامه وأن يبتعد عن الغموض واللبس ويتكلم بإيجاز ولا يُطِنِب أكثر من اللازم.

– قاعدة العلاقة (Maxime de relation): وتعني "التحدّث في شأن كذا، أي ليكن الكلام مناسباً للغرض."² أي أن يكون الخطاب مناسباً للمقام، وعلى المخاطب أن يتحدّث بما يلاءم المخاطب، وعدم استخدامه عبارات وألفاظ خارج الموضوع التي قد تودّي إلى انحراف المخاطب وعدم فهمه لقصد المتكلم.

2-2- قانون الصدق (Loi de vériconditionnalité): ويسمى أيضاً

شرطية الصدق إذ لا يمكن أن تتحدّث عن معنى قول دون أن تتحدّث عن صدق القضية التي يُعبّر عنها القول أو كذبها، فالصدق رهنا بمطابقة القول لحالة الأشياء في الكون أو عدم مطابقته إيّاها.³ وهذا يعني أنّ الكلام أو الأقوال لا بدّ أن تكون صادقة بمعنى أنّ المتكلم مُطالبٌ بقول الصدق في كلامه.

"غرايس" في وضعه لهذا المبدأ ركّز على ميزة الصدق التي يتحلّى بها المخاطب سواء كانت متعلّقة بالأوامر أو بالاستفهامات، ذلك أنّ من يسأل يرغب دائماً في معرفة الإجابة.⁴ أي أنّه دعا المتخاطبين إلى أن يتحلّوا بميزة الصدق في كلامهم سواء كان هذا الكلام عبارة عن استفهامات أو أوامر، بمعنى قول الحقيقة كما هي موجودة في الواقع، حيث تُعتبر صفة الصدق أصلاً وأساساً في الخطاب يقول (غرايس): "من الأسهل أن

¹ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ - ينظر: آن روبرول وجاك موشلار، التداولية اليوم (علم جديد في التواصل)، ص 266.

⁴ - يُنظر: ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ط2، تيزي وزو، الجزائر: دت: دار الأمل، ص 192.

نقول الحقيقة من أن نكذب.¹ فهو بهذا يعتبر أنّ الصدق وقول الحقيقة أسهل من الكذب الذي هو أصعب شيء في العملية التخاطبية وتقول "أوركينيوني" (Orkioni): "لا يمكننا تصوّر لغة عكس هذه القاعدة.² فاللغة مبنية على الحقيقة وعلى قاعدة الصدق.

والسياق هو الذي يكشف عن ميزة الصدق، ويُبيّن ذلك عن طريقة أفعال دالة على التوكيد، الإقرار، الإثبات، والقسم.³ فالمقام أو السياق هو العامل في الكشف عن خاصية الصدق التي يجب أن تتجسّد في الخطاب ويكون ذلك عن طريق مجموعة من الأساليب الإخبارية كالتوكيد والإقرار والإثبات والقسم، وما إلى ذلك.

2-3_ قانون الإفادة (Loi de l'information): بمعنى أنّ الكلام يجب أن يكون مفيداً، ويُعتبر هذا القانون: "المركز الذي تدور حوله القوانين الأخرى، ذلك أنّ الخطاب يتوقف على مدى استفادة المتلقي من كلام المخاطب.⁴ هذا يعني أنّ مشروعية الخطاب تُقاس بمدى إفادة القول وليس بمدى قدرته على الإخبار.

يقول "ولسن" (Wilson) في شأن هذا القانون: "إننا نقرّر أنّ كل الأنماط تدور حول حكم الإفادة، وهو أكثر صحّة ودقّة من الأحكام الأخرى.⁵ وهذا يدلّ على أهمية هذا القانون دون القوانين الأخرى كونه أكثر مصداقية ووضوح، واعتماد المتلقي وتطبيقه

¹ - ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص 192.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ - ينظر: ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص 192.

⁴ - ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص 191.

⁵ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

لهذا القانون يكون في إثراء لمعلوماته ومُدركٍ لها، ويُستنتج منه أنّ الخطاب المفيد هو ذلك الذي ينجرُّ عنه نتائج علمية يستفيد منها المتلقّي¹.

2-4- قانون الإخبار والشمول (l'inclusion Loi de l'information et de):

المخاطب يعمد إلى إعطاء عدد من المعلومات من الضروري أن تكون شاملة وعامة وعليه أن يقوم بإخبار المتلقّي (المخاطب) وتزويده بمعارف لم يسبق له معرفتها من قبل.² وهذا يعني أنّ الكلام الدائر بين المتخاطبين يهدف إلى نقل خبر ما أو تقديم مجموعة من المعلومات والمعارف والحرص على دقتها إذ لا بدّ أن تكون هذه المعلومات تتميز بالشمولية، وإذ انحرف الكلام عن هذا الغرض صار مجرد كلام عابث لا فائدة منه، وفي هذا الصدد يقول "ديكرو" (Ducrot): "على المخاطب تقديم المعلومات اللازمة والتي يمتلكها عن موضوع الخطاب وغرضها إفادة المخاطب."³ فالمتكلم ملزم بتزويد المتلقّي بكل المعلومات المهمّة واللازمة التي بحوزته والتي تخصّ موضوع الخطاب وذلك لإفادته وإثراء رصيده المعرفي.

¹ - ينظر: ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص 191.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 192.

³ - ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص 193.

المبحث الثاني: دلالة الحجاج في الفكرين العربي والغربي.

يُعتبر الحجاج من المفاهيم التي كثر فيها الكلام وتعدّدت فيها الرّؤى بين الباحثين وقبل التّفصيل في ذلك يجدر بنا الإشارة إلى معناه في اللغة والاصطلاح.

1- لغة: تكاد تجمع المعاجم العربية على ما ورد في لسان العرب حيث جاء في معجم "ابن منظور" في مادة حجج "حَاجَجْتُهُ أَحَاجُهُ حِجَاغًا وَمُحَاجَّةً حَتَّى حَجَجْتُهُ أَي غَلِبْتُهُ بِالْحُجَجِ الَّتِي أُدْلِيْتُ بِهِ، وَالْحُجَّةُ مَا دُوِّعَ بِهِ الْخَصْمُ، يَقُولُ: اخْتَجَّ بِالشَّيْءِ اتَّخَذَهُ حُجَّةً قَالَ "الأزهري": إِنَّمَا سَمِيَتْ حُجَّةً لِأَنَّهَا تَحُجُّ أَي تَقْصِدُ لِأَنَّ الْقَصْدَ لَهَا وَإِلَيْهَا وَالْحُجَّةُ الدَّلِيلُ وَالْبُرْهَانُ."¹ ويرى "ابن منظور" أن الحجاج هو نفسه الجدل وجعله مرادفاً له، إذ يقول في مادة جدل: "إِذْ حُدُّ الْجَدْلُ مُقَابَلَةً الْحُجَّةَ بِالْحُجَّةِ."² ويصرّح بذلك في قوله: "هو رجلٌ مُحَجَّجٌ أَي جَدِلٌ."³ وعبد الله صولة يجعل الحجاج مرادفاً للجدل أيضاً وذلك بقوله: "فالحجاج النِّزاع والخصام بواسطة الأدلّة والبراهين والحجج فيكون مرادفاً للجدل."⁴ وهذا التعريف يتوافق مع نظرة "ابن منظور" للحجاج باعتباره هو الجدل.

وورد في مختار الصحاح: " الْحَجُّ فِي الْأَصْلِ الْقَصْدُ، الْحُجَّةُ هِيَ الْبُرْهَانُ، وَحَاجَبَهُ فَحَجَّه مِنْ بَابِ رَدَّ أَي غَلِبَهُ بِالْحُجَّةِ، وَفِي الْمَثَلِ: لَجَّ فَحَجَّ فَهُوَ رَجُلٌ مُحَجَّجٌ بِالْكَسْرِ أَي جَدِلٌ وَالتَّحَاجُّ التَّخَاصُمُ وَالْمَحَجَّةُ بفتح الحاء جَادَةُ الطَّرِيقِ"⁵.

¹ - ابن منظور، لسان العرب، مادة (حجج)، ص 228.

² - المرجع نفسه، مادة (جدل)، ص 27.

³ - المرجع نفسه، ص 27-28.

⁴ - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية، ط2، بيروت، لبنان: 2007م، دار الفارابي، ص 10.

⁵ - محمّد بن أبي بكر عبد القادر الرّازي، مختار الصحاح، ط1، بيروت، لبنان: 1967م، مادة (حجج)، دار الكتاب العربي، ص 52.

أمّا "الشريف الجرجاني" يرى أنّ الحجة هي الدليل، ومنه يكون الحجاج هو مجموعة من الأدلّة والبراهين التي ندلّ بها على صحة الدّعى.¹

من خلال هذه التحديدات المعجمية لمصطلح الحجاج تبين لنا أنّ معانيه اللّغوية تعدّدت، فقد جاء بمعنى الجدل، وبمعنى الدليل والبرهان للدفاع عن اعتراض.

يُقابل هذه اللفظة في اللغة الفرنسية لفظة (Argumentation) التي تدلّ على معانٍ متقاربة أبرزها حسب قاموس "روبير" (Robert) بمعنى: "مجموعة من الحجج التي تستهدف نتيجة واحدة، والقيام باستعمال الحجج".² وفي اللغة الإنجليزية "يشير لفظ (Argue) إلى وجود اختلاف بين طرفين ومحاولة كل منهما إقناع الآخر بوجهة نظره بتقديم الأسباب أو العلل (Reasons) التي تكون الحجة (Argument) مع أو ضدّ فكرة أو رأي أو سلوكٍ ما"³.

وبإجراء مقارنة بين المعنى اللغوي للحجاج في اللغة العربية، الفرنسية والإنجليزية نجد شبه توافقٍ بين المعاني على المستويين الدلالي والوظيفي، فالكلّ يجعل من الجدل يقوم بين المتكلم والمتلقي، والأدلّة والبراهين المقنعة التي يقدّمها كلّ منهما لدعم موقفه والدّفاع عنه لتتم عملية المحاجة بين الطرفين.

2- اصطلاحاً: أمّا المعنى الاصطلاحي للحجاج فيصعب تحديد ماهيته حسب "طه عبد الرّحمان" حيث يرى أنّ الحجاج من المفاهيم التي تنطوي على قدر من الالتباس وهذا ما

¹ - يُنظر: الشّريف الجرجاني، التّعريفات، ص 73.

² - Alain Rey, Le petit Robert micro ;Dictionnaire d'apprentissage de la langue française éd :3, paris :2012, p 72.

³ - هاجر مدقن، آليات تشكل الخطاب الحجاجي (بين نظرية البيان ونظرية البرهان)، ع5، ورقلة، الجزائر: مارس 2006م، الأثر، ص 190.

جعله يتميز عن البرهان، ويؤكد أنّ هذا الالتباس هو الفاصل بينه و بين الحجاج¹، إذ يُعرّفه بقوله: "هو الآلية الأبرز التي يستعمل المرسل اللّغة فيها، ويتجسّد عبرها استراتيجية الإقناع."² و في تعريفه هذا يهتمّ بالجانب الشكلي للّغة الذي يظهر فيه الحجاج أي التلقّف وذلك لتحصيل عملية الإقناع، ويعرّفه "روني باي" (Rudy bay) بقوله: "إنّ الحجاج نشاط ثقافي في الإنتاج والتلقّي."³

وسنعتي مفهوماً شاملاً للحجاج حيث يُعرّف على أنّه "جنس خاصّ من الخطاب يبني على قضية أو فرضية خلافية، يعرض فيها المتكلم دعواه مدعومة بالتبريرات، عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطاً منطقيّاً، قاصداً إقناع الآخر بصدق دعواه والتأثير في موقفه أو سلوكه اتجاه تلك القضية."⁴ من خلال هذا المفهوم يظهر لنا أنّ محور العمليّة التخاطبيّة هي القضية الخلافية التي تكون بين المتكلم والمستمع، وحصول الحجاج داخل الخطاب يعود إلى مدى قدرة المتكلم على إقناع المتلقّي بما يُوجّهه إليه، وإذا كانت المعلومات المقصود نقلها معروفة أو هي من البديهيات فإنّ المتكلم لا يلجأ إلى التبرير أو التّدعيم.

هذه بعض المفاهيم البسيطة التي توصلنا إليها، والتي حاولنا من خلالها أن نوضّح بعض ملامح الحجاج، هذا المفهوم الذي يحتوي على دلالات متنوّعة.

¹- يُنظر: عبد الرحمان طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 230.

²- عبد الرّحمان طه، اللّسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 226.

³- عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغيّر (مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج)، دط، المغرب: 2006م

أفريقيا الشرق، ص 12.

⁴- محمد العبد، النص الحجاجي العربي (دراسة في وسائل الإقناع)، ع1، دت، مجلة فصول، ص44.

3- المسار التاريخي للحجاج:

اندرج الحجاج قديماً في الخطابة والبلاغة وكثيراً ما ورد في الثقافة العربية والغربية بتسميات مختلفة، الجدل، البرهان، التناظر إلى غير ذلك. انطلاقاً مما ورد في القرآن الكريم إلى أهم ما تناوله اليونانيون سنعرض التطور التاريخي لهذا العلم عند العرب والغرب على حدّ سواء.

3-1- الحجاج عند العرب:

3-1-1- قديماً:

يضرب الحجاج بجذور قويّة في الخطاب العربي فلقد أولوه عناية كبيرة، وقد تجسّد ذلك في العصر الإسلامي لا سيما القرآن الكريم والسنة النبويّة، كما تبلور في علوم شتى كاللغة والبلاغة.

لقد ورد الحجاج في القرآن بمعانيه المختلفة فقد جاء بلفظ حجاج، جدل، وبرهان ويظهر ذلك في آيات كثيرة، فقد قال "محمد الطاهر ابن عاشور" في شأن حاجّ وما اشتقّ منه عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ تَرَى إِلَى اللَّهِ حَاجًّا إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ [البقرة: 258]: "معنى حاجّ خاصم وهو فعل جاء على زنة المفاعلة ولا يُعرف لِحَاجِّ في الاستعمال فعل مجرد دالّ على وقوع الخصام، ولا تُعرف المادّة التي اشتقّ منها، ومن العجيب أنّ الحجّة في كلام العرب البرهان المصدّق للدعوى مع أنّ حاجّ لا يستعمل غالباً إلا في معنى المخاصمة وأنّ الأغلب أنّه يفيد الخصام بباطل".¹ من تفسير ابن عاشور يتّضح لنا أنّ الحجاج يدلّ في معناه على المخاصمة وتعجّب من استعمال العرب لهذه اللفظة في كلامها على أنّها البرهان، وقال: "في شأن الجدل عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنْ

¹ - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 11.

الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ﴿ [النساء: 107] والمجادلة مفاعلة من الجدل وهو القدرة على الخصام والحجة فيه، وهي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك.¹

نستنتج من تفسيره هذا أنه جعل الحجاج مرادفا للجدل، وبين أن الجدل هو القدرة على الخصام لتقنع به غيرك، وقسمه إلى قسمين، ما أريد به الخير أو الحق، وما أريد به الباطل.

ونجد "الزّمخشري" يفسر قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة:111]: هاتوا برهانكم، هلموا حجّتكم على اختصاصكم بدخول الحجّة، إن كنتم صادقين في دعواكم، وهذا أهدم شيء لمذهب التقليديين، وأنّ كلّ قول لا دليل عليه فهو باطل.² فالبرهان حسبه أن تأتي دليل قاطع لتثبت صحّة رأيك أو قولك، أي لا يكون فيه أيّ شكّ أو احتمال.

كما نجد الحجاج يظهر بشكل واضح وجليّ في السنّة النبوية، وما ورد في كتاب "أبو الوليد الباجي" خير ما نستدلّ به في هذا الشأن، "فقد جاء رجل إلى النبي -صلى الله عليه وسلّم- ناكراً لون ولده قائلاً: يا رسول الله إنّ امرأتي ولدت غلاماً أسود، فقال له رسول الله: هل لك من إبل؟، قال: نعم، قال: فمن أين ذلك؟، قال: لعلّ عرقاً نزعته، فقال الرسول: وهذا الغلام لعلّ عرقاً نزعته."³ من خلال الحديث يظهر لنا أنّ الرسول عليه الصلاة والسلام يستدلّ على كلامه ويقدم حججاً تُدعن من يجادلّه، وفي موضع آخر "رؤي عن زيد ابن ثابت أنّه ناظر عليّاً -رضي الله عنهما- في المكاتب، فقال: أكنت راجمه لو زني؟ قال عليّ: لا!، قال: وكنت تحيز شهادته لو شهد؟، قال عليّ: لا، قال:

¹ - المرجع نفسه، ص 11.

² - يُنظر: الزّمخشري، الكشّاف، ص 92.

³ - أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، تح: عبد المجيد تركي، دط، دت، دار العرب الإسلامي، ص 9.

فهو عبدٌ ما بقي عليه درهمٌ، وهذا من أصحّ طريق الجدل أيضاً، لأنّه قرّره على أحكام العبوديّة، فلمّا سلّمها حكم بالعبوديّة ورأى أنّ المسألة قد سلمت له.¹ من خلال هذه المناظرة يتبيّن أنّ الحجاج يرادف الجدل أيضاً. وممّا تناولناه يتّضح لنا أنّ مدلولاته اختلفت وتشابكت بين الحجاج والجدل والبرهان في القرآن الكريم والسنة النبوية.

والآن سنقف عند أقطاب البلاغة القديمة الذين وظّفوا هذا العلم في كتبهم وشكّل بنية أساسية في مؤلّفاتهم.

"الجاحظ" في كتابه البيان والتبيين تناول فصولا كثيرة فيما يتعلّق بالحجاج، ففي الفصل الذي تناول فيه البلاغة حاول إيضاح هذا المفهوم إذ يقول: "أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللحظ، متخيّر اللفظ لا يكلم سيّد الأمة ولا الملوك بكلام السوقة، ويكون في قواه فضل التصرف في كلّ طبقة."² ففي هذا النصّ يتّضح لنا أن غاية "الجاحظ" القصوى هي الخطاب الإقناعي الشفوي، وهو إقناع تقدّم فيه الغاية على الوسيلة.³

ومن هنا نلاحظ أنّ القدماء قد أولوا أهميّة كبيرة إلى التّخاطب وإلى تقسيم وجوه الكلام ومناسبته مع متلقّيه، وبهذه الطّريقة بإمكان المتكلّم أن يختار الحجج التي تتناسب مع المُخاطب والمقام الذي يتحدّث فيه.

ممنّ أوردوا الحجاج أيضا في كتبهم "أبو الوليد الباجي" حيث قال في كتابه المنهاج في ترتيب الحجاج: "هذا العلم من أرفع العلوم قدرا و أعظمها شأنًا، لأنّه السبيل

¹ - المرجع نفسه، ص 8.

² - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، ط7، القاهرة: 1411هـ-1991م، مكتبة الخانجي، ج2، ص92.

³ - ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشّهيري، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، ص 448 - 449.

إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة، ولا اتضحت محجة، ولا علم الصحيح من السقيم، ولا المعوج من المستقيم.¹ من هنا نفهم أنّ الحجاج من العلوم التي عظم شأنها، وهو بمثابة الطريق إلى معرفة الحقيقة ويظهر لنا أيضا أنّ "الباجي" قد جعله مرادفا للجدل وعلل ذلك بأنه لولا الجدل لما قامت الحجة.

"حازم القرطاجني" أيضاً من علماء البلاغة الذين تناولوا الحجاج في مصنفاتهم، فقد أورده كوجه من أوجه الكلام في كتابه منهاج البلغاء وسراج الأدباء، إذ يقول: "لما كان كلّ كلام يحتمل الصدق والكذب، إمّا أن يرد على جهة الإخبار والاقتصاص، وإمّا أن يرد على جهة الاحتجاج والاستدلال."² ميّز بين نوعين من الكلام، الإخبار والاقتصاص أي أن تُخبر المستمع بما يجول في ذهنك دون أن تحتجّ على ما تقول، والنوع الثاني هو الاحتجاج والاستدلال أي أن تُدعم ما تقوله بالحجج والأدلة لإقناع المتلقي، وهذا النوع من الكلام هو الذي اعتبره وجهاً من أوجه الحجاج.

بدايةً ممّا ورد في القرآن الكريم وُصّولا إلى جهود القدماء في حقل البلاغة، نجدها اجتمعت على أنّ الحجاج كمصطلح هو بمعنى الجدل، البيان، المجادلة وقد ورد عندهم إمّا في شكل ممارسة أو في صورة بحث وتدوين، وعلى الرغم من تعدّد تسمياته إلا أنّها تصبّ في مفهوم واحد وهو محاولة إذعان الخصم.

¹ - أبو الوليد الباجي، منهاج في ترتيب الحجاج، ص 9.

² - حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمّد الحبيب ابن خوجة، دط، تونس: 1966م، دار الكتب الشّرقية، ص 63.

3-1-2- الحجاج عند العرب حديثاً:

لإعطاء نظرة شاملة عن الحجاج، سنضيف جهود المعاصرين في أعمال تُلّة من الباحثين العرب الذين اختلفت وجهات نظرهم وتحدّدت زواياها طبقاً للدرس الذي انطلقوا منه.

نجد "طه عبد الرّحمان" قد حدّد مفهوماً لطبيعة الحجاج وآلياته من النّاحية الفلسفية إذ يُعرّفه بقوله: "وحدّ الحجاج أنّه فعاليّة تداوليّة جدليّة، فهو تداوليّ لأنّ طابعه الفكري مقامي واجتماعي، وهو أيضاً جدليّ لأنّ هدفه إقناعي قائمٌ بلوغه على التزام صور استدلالية."¹ نفهم من تعريفه هذا أنّ كون الحجاج تداوليّ راجع إلى كثرة استعماله في الحياة اليومية فالواقع الاجتماعي يفرض ذلك، وجدليّ لأنّ المحاجّ يهدف من خلاله إلى إقناع الخصم وإذعانه، ومحاولة جعله يتبنّى موقفاً معيّنًا ويدافع عنه.

ولقد أورد في كتابه هذا خاصيّة للحجاج وهي الحواريّة وجعلها في ثلاث مراتب (الحوار، المحاورّة، التّحاور) حيث نفهم أنّ هذا المنهج يختلف باختلاف السّلك التّخاطبي للإنسان.² وهو يرى "أنّ الأصل في تكوثر الخطاب هو صفته الحجاجية، بناءً على أنّه لا خطاب بغير حجاج."³ يتجلّى لنا من هذه الرّؤية أنّ الخطاب ملازم للحجاج أي أنّ الخطاب يتّصف بصفة الحجاجيّة فهو يحتوي على حجاج أينما وُجد.

¹ عبد الرّحمان طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط2، الدار البيضاء، المغرب: 2000م، المركز الثقافي العربي، ص 65.

² يُنظر: المرجع نفسه، ص 31-32.

³ عبد الرّحمان طه، اللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي، ص 213.

ويُعرّفه في موضع آخر بقوله: "حدّ الحجاج أنّه كلّ منطوق به مُوجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحقّ له الاعتراض عليها."¹ الحجاج حسبه هو الكلام الذي يوجّهه المتكلّم إلى السّامع، وذلك لإقناعه بما يقوله ومن حقّ المستمع أن يعترض على ما يسمعه. ويرى أنّ "الحجاج عبارة عن فعل تكلمي لغوي مركّب أو مؤلّف من أفعال تكلميّة فرعيّة، ومُوجّه إمّا إلى إثبات أو إلى إبطال دعوى معيّنة."² فهنا ربط الحجاج بالتداوليّة واعتبره فعل كلامي هدفه الدّفاع عن موقف أو إبطاله.

أمّا "محمد العُمري" انطلق إلى دراسة الحجاج من علم البلاغة إذ نجده من خلال كتابه في بلاغة الخطاب الإقناعي يهدف إلى التّنبية على البعد الإقناعي للبلاغة العربيّة.³ فبلاغة الخطاب أصبح لها دور فعّال ومهمّ في التّأثير في أحوال النّاس، وقد عزّف البلاغة بقوله: "هي علم الخطاب الاحتمالي الهادف إلى التّأثير والإقناع أو هما معاً، إيهاماً وتصديقاً."⁴ هي علم يهتمّ بالخطاب في بُعديه الأدبيّ المبني على الخيال والحجاجي المنطقي المبني على الواقع.

ويتمثّل الحجاج عند "أبو بكر العزّوي" في "إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللّغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة التّناج التي تستنتج منها."⁵ ويتّضح لنا من قوله أنّ الحجاج هو مجموعة من الأقوال بعضها تكون عبارة عن حجج لدعم ما نقوله، وبعضها الآخر هو ما يُفهم من تلك الأقوال دون أن تحوي حُججاً.

¹ - المرجع نفسه، ص 226.

² - المرجع نفسه، ص 262.

³ - محمد العُمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي (مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربيّة، الخطابة في القرن الأوّل أنموذجاً)، ط2، بيروت، لبنان: 2002م، إفريقيا الشّرق، ص 9.

⁴ - محمد العُمري، البلاغة الجديدة بين التّخييل والتّداول، دط، الدّار البيضاء: 2005م، إفريقيا الشّرق، ص 6.

⁵ - المرجع نفسه، ص 16.

من الجهود العربيّة المعاصرة أيضاً نجد "عبد الله صولة" الذي درس الحجاج في القرآن من خلال كتابه الموسوم بالحجاج في القرآن الكريم، فالقارئ للأبواب الثلاثة (المعجم القرآني: خصائص كلماته وحركتها الحجاجية، التّركيب في القرآن الكريم: خصائصه ووجوه الحجاج فيه، الصورة في القرآن: خصائصها ووجوه الحجاج فيها) يرى "أنّ الحجاج في القرآن الكريم هو حوار دائر بينه وبين متلقّيه أو هو بالأحرى حوارية معتبر فيها حضور الطّرف المتلقّي حضوراً فاعلاً.¹ فهو يرى أنّ الحجاج في القرآن الكريم يتجسّد في حوار دائر بين طرفين هما المخاطب والمخاطب، الأوّل هو الله -سبحانه وتعالى- والثّاني هو الإنسان، كما ركّز في كتابه على التّعريف بنظريّة الحجاج في اللّغة، ودرس بعض الرّوابط الحجاجيّة في اللّغة العربيّة مثل: بل، لكن، حتّى، ودرس أيضاً ظاهرة الاستعارة وعمل على إبراز بعض مظاهرها الحجاجيّة من خلال مفاهيم السّلم الحجاجي والإبطال والقوّة الحجاجيّة.²

3-2- الحجاج في الدّراسات الغربيّة:

3-2-1- عند اليونان:

كان اهتمام اليونانيين القدامى مُنصباً على فنون الكلام، ولا سيما الخطابة والشّعر منها، ولذلك نجد منهم من نظر لهما وأرسى قواعدهما الفنيّة والعقليّة التي صارت فيما بعد منهجاً اتّبعه من جاء بعدهم.

اهتمّ السّوفسطائيون بالبلاغة، وبحثوا في طرق معرفة الحقيقة والوصول إلى الإقناع فقالوا: "إن لم تكن هناك حقيقة تُعرف وتعلم، فأمامنا باب الاستمالة والتأثير في النّاس وإن

¹ - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية، ص 610.

² - يُنظر: المرجع نفسه، ص 109.

لم يكن حقّ وباطل في ذاتها، فهناك طرق الإقناع، وهذا هو الطّريق الذي سلّكه طريق البلاغة.¹ أي أنّهم كانوا يلجؤون -في إقناع الخصم- إلى نوعين من الحجج: الأولى تكون حقيقيّة، أمّا الثّانية فهي حجج زائفة يجلبونها من التّلاعب بالألفاظ، وينتج عن ذلك استمالة المتلقّي واقتناعه بما يقدّمونه.

ومن فلاسفة اليونان أيضاً نجد "أفلاطون"، الذي يمكننا استخلاص فكره في العمليّة الحجاجيّة من خلال محاوراته مع بعض السّوفسطائيّين، حيث نجده "يؤكد أنّ الحجاج نوعان: إقناع يعتمد العلم وآخر يعتمد الظّن".² ذكر أنّ الإقناع نوعان، الأوّل يعتمد العلم أي أن يعتمد المتكلّم في مواجهته لخصمه على معلومات دقيقة لإقناعه، والثّاني يعتمد الظّن، فيستند المتكلّم على افتراضات ومعلومات يُحتمل وجودها.

أمّا "أرسطو" فقد تأسّست دراسته للحجاج على دعامتين: الأولى يختزلها مفهوم الاستدلال (Raisonnement)، والثّانية تقوم على البحث اللّغوي الوجودي.³ وذلك أنّ الحجاج الأرسطيّ مُرتبط بالاستدلال وهذا الأخير لا ينطلق من فراغ بل من معارف سابقة، أمّا الدّعامة الثّانية فهي أن تستند على اللّغة الموجودة في الذّهن لإنشاء الحجج المناسبة للموقف الذي يعترضنا أو نحن بصدد الدّفاع عنه.

ميّز أرسطو بين ثلاث مستويات من الحجج (الإيتوس، الباتوس، واللّوغوس) في علاقتها بالأفعال الثّلاث للفعل الخطابي (الخطيب، المستمع، الخطاب)، فالإيتوس يصف

¹ - أحمد أمين وزكي نجيب محفوظ، قصّة الفلسفة اليونانيّة (السّلسلة الفلسفيّة)، ط2، القاهرة: 1935، دار الكتب المصريّة، ص100.

² - فريق البحث في البلاغة والحجاج، أهمّ نظريّات الحجاج في النّقايد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمّادي الصّمود، ط2، منوبة، تونس: دت، كليّة الآداب، ص63-64.

³ - يُنظر: محمّد سالم الأمين محمّد الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة (بحث في بلاغة النّقد المعاصر)، ط1، 2008، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ص36.

الخصائص المتعلقة بشخصية الخطيب والصورة التي يقدمها عن نفسه، والباتوس يشكّل مجموعة من الانفعالات يرغب الخطيب في إثارتها لدى المستمعين، واللّوغوس يمثل الحجاج المنطقيّ الذي يمثل الجانب العقلاني في السلوك الخطابي، فيرتبط بالقدرة الخطابية على الاستدلال والبناء الحجاجي.¹ مفاد ذلك أنّ أرسطو جعل الخطابة مجالاً للممارسة الحجاجية لأنّه يضع الحجج أساساً للعلاقة الخطابية بين القائل والمقول إليه فدرس أخلاق الأوّل، وانفعالات الثّاني خلال هذه العلاقة، وركّز بذلك على صلة الخطابة بالجدل وهو في رأيه مجال الحجاج ومركز حدوثه.

ومع هذه الوقفة القصيرة للحجاج الأرسطي نجده دعا إلى بلاغة يكون مركزها الحجاج وتكون العناية فيها بمختلف أقطاب العملية التّواصلية أساسية، وحجاج "أرسطو" يستند في الأصل إلى نظريته في المنطق، إذ أنّ الجدل، والحجاج، والاستدلال مُسمّيات لمدلول واحد هو الحجاج.

3-2-2- الحجاج عند المعاصرين:

بعد تطرّقنا إلى جهود فلاسفة اليونان الذين قدّموا أساليب حجاجية مهمّة، والتي أصبحت من المكوّنات الأساسية في عمليّات الحجاج، سنتناول الدّراسات المعاصرة التي نجدها استندت على الدّرس الحجاجي القديم خصوصاً الحجاج الأرسطي الذي عدّ الإنطلاقة الأساسية للحجاج.

أسهم "بيرلمان" (Perelman) وزميله "تيتيكا" (Tyteca) في مؤلّفهما مصنّف في الحجاج (Traité de l'argumentation) في تطوير النّظرية الحجاجية، ونجد تأثرهما بالخطابة الأرسطية واضح، إذ نجد "بيرلمان" يجعل البلاغة مرادفة للجدل في ضوء

¹- يُنظر: أرسطو طاليس، الخطابة (الترجمة العربية القديمة)، تح: عبد الرّحمان بدوي، دط، بيروت، لبنان: 1979م
وكالة المطبوعات، ص245.

النظرية الحجاجية فيقول: "إنّ نظرية الحجاج بوصفها بلاغة جديدة تغطّي كلّ حقل الخطاب المستهدف للإقناع كيفما كان المستمع الذي تتوجّه إليه، ومهما كانت المادة المطروحة".¹ نجده أعطى اسماً جديداً للحجاج وهو البلاغة الجديدة، واعتبرها المكان المناسب للخطاب الذي يحوي حُججاً بهدف الإقناع، مهما كانت المادة التي يطرحها المتكلم، وكيفما كانت حالة المستقبل الذي يسمع ما يوجّه إليه. لجأ إلى تقسيم الحجاج بحسب نوع الجمهور إلى الحجاج الإقناعي (L'argumentation persuasive)، وهو موجّه إلى الجمهور الخاصّ، والحجاج الإقناعي (L'argumentation convaincant) وهو ما يحدث فيه الإذعان والتسليم بإعمال العقل.² الأول خاصّ ويهدف إلى إقناع فئة معيّنة من الناس، أمّا الثاني فهو عامّ وركّز عليه لكونه عقلياً وهو أساس الإذعان، ويحدث من خلاله الاقتناع بالحجج.

في نظرهما الحجاج يتجاوز النّظر فيما هو حقيقيّ مثبتٌ مُحدّد إلى تناول حقائق متعدّدة ومتدرّجة، فمبعثه هو الاختلاف وشرطه أن يقوم على موضوعيّة الحوار، حيث يقف فيه المحاجج موقف الشريك المتعاون من أجل استمالة المتلقّي، ويجعله يذعن لما يطرح عليه، وأن يزيد في درجة إذعانه عن طريق التأثير في عواطفه، وخيالاته وإقناعه.³

يُعدّ اللّغويّان "ديكرو" (Ducrot) و"أنسكومبر" (Anscombe) من المهتمّين بعلم الحجاج، فقد وضعوا أسس النظرية الحجاجية، وتطرّقا إلى مفهوم الحجاج في كتابهما المشترك الحجاج في اللّغة (L'argumentation de la langue)، فموضوع الحجاج

¹ - محمّد الوليّ، مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، ع2، الكويت: أكتوبر - ديسمبر 2011م، عالم الفكر، مج4، ص33-34.

² - يُنظر: عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته، ص301.

³ - يُنظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية (مع محاولة تأصيله في الدرس العربي القديم)، ط1، العظمة، الجزائر: 2009، بيت الحكمة، ص107.

في اللغة هو "بيان بما يتضمّنه القول من قوّة حاجيّة تمثّل مكوّنًا أساسيًا لا ينفصل عن معناه، يجعل المتكلّم في اللّحظة التي يتكلّم فيها يوجّه قوله وجهة حاجيّة ما.¹" مفاد قولهما أنّ الكلام يحمل في حدّ ذاته حججاً، وهو الذي يجعل المتكلّم قادراً على إقناع السّامع بأطروحته. كما أنّهما حصرا الحجاج في اللغة ودراستها، فيرى (ديكرو) "أنّ كلّ قول يحتوي على فعل إقناعي، فإن تتكلّم يعني أنّك تحتاج، ولا وجود لكلام دون شحنة حاجيّة، فالحجاج عنده هو علاقة دلاليّة تربط بين الأقوال في الخطاب تنتج عن عمل المُحاجّجة."² يتجلّى لنا أنّه ليس هناك كلام دون حجاج فهما متلازمان، أو يمكن القول بأنّهما وجهان لعملة واحدة، نلاحظ أنّ "ديكرو" برؤيته هذه هو يُنافي بيرلمان في مفهومه تماماً، فعنده لا يدلّ كلّ قولٍ على حجاج، وإنّما يهدف من ورائه إلى ممارسة فعل إقناعي على المخاطب.

ويُعدّ "ميشال مايير" (Michelle mayer) من الذين تناولوا الحجاج في أبحاثهم فقد عرّفه بأنّه "دراسة العلاقة القائمة بين ظاهر الكلام وضمانيّه."³ فالحجاج عنده صريح وضمانيّ، إمّا أن نجده في معنى الجملة الحرفي أو علينا ربطه بالمقام لمعرفة المعنى الخفيّ.

من خلال ما تناولناه يمكننا القول أنّ الحجاج هو مجال من مجالات التّدالويّة يشترك مع العديد من العلوم، فهو يُعدّ ضمن الحقل التّدالويّ لكنّه انبثق عن الحقل المنطقي والفلسفي والبلاغي، وهو يقوم على صناعة الجدل والخطابة، بل إنّ من الدّارسين من عدّه بلاغة جديدة، وسنُفصّل في علاقة هذا العلم مع التّدالويّة في العنصر المُوالي.

¹ - حمّادي الصّمود، الحجاج في التّقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، ص 325.

² - أبو بكر العزّاوي، اللّغة والحجاج، ص 14-16.

³ - المرجع نفسه، ص 39.

4- علاقة الحجاج بالتداولية:

تعتبر التداولية الحقل الخصب الذي ساعد في تطوّر الحجاج ونموّه، وعلاقتها جدّ وثيقة بالحجاج وسنوضّح ذلك من خلال إعطاء مفهوم التداولية لغة واصطلاحاً وسنحاول اظهار هذه العلاقة عند بعض الباحثين.

4-1- مفهوم التداولية:

4-1-1- لغة:

عرّفها "ابن منظور" في لسان العرب بأنّها: "الَّذِي يُتَدَاوَلُ، قَالَ يُونُسُ: لَمْ يَتَدَاوَلْهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ الرَّجَالُ أَي لَمْ يَتَنَاقَلْهُ الرَّجَالُ، وَتَدَاوَلْنَا الْأَمْرَ أَخَذْنَاهُ بِالذُّوْلِ، وَقَالُوا: دَوَالِيكَ أَي مُدَاوَلَةٌ عَلَى الْأَمْرِ، وَتَدَاوَلُوا الْأَمْرَ بَيْنَهُمْ أَي تَدَاوَلًا بَعْدَ تَدَاوُلٍ".¹ ووردت اللفظة في مختار الصحاح أيضاً "فالدُّوْلَةُ بِالضَّمِّ إِسْمُ الشَّيْءِ الَّذِي يُتَدَاوَلُ بِهِ بَعِيْنِهِ، وَالدُّوْلَةُ بِالْفَتْحِ الْفِعْلُ".² خلاصة هذه المفاهيم المعجمية أنّها للدلالة على التحوّل، وكذا الانتقال من حال إلى حال، وهي تُحيل أيضاً إلى كثرة الاستعمال.

4-1-2- اصطلاحاً:

لفظة تداولية هي ترجمة للمصطلح (Pragmatique) وقد حدّده "طه عبد الرّحمان" بقوله: "وهو وصف لكلّ ما كان نطاقاً مكانياً وزمانياً لحصول التّواصل والتّفاعل، فالمقصود بمجال التّداول هو محلّ التّواصل والتّفاعل بين صانعي التّراث".³ فالتداولية هي مظهر من مظاهر التّواصل بين الأفراد. "والمقصود بالتداوليات العلاقات

¹ - ابن منظور، لسان العرب، (مادة دول)، مج11، ص252-253.

² - الرّازي، مختار الصحاح، ص90.

³ - عبد الرّحمان طه، تجديد المنهج في تقويم التّراث، ط2، الرّباط، المغرب: دت، المركز الثقافي العربي، ص244.

الدّوال الطّبيعيّة ومدلولاتها مع الدّالين بها.¹ فالتّداوليّة تهتمّ بدراسة العلاقة بين الكلمات وما تدلّ عليه والمتكلّمين بها. وأوجز تعريف لها هو "دراسة اللّغة في الاستعمال (In use) (أو في التّواصل (In interaction) لأنّه يشير إلى أنّ المعنى ليس شيئاً متّصلاً في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلّم وحده ولا السّامع وحده، فصناعة المعنى تتمثّل في تداول اللّغة بين المتكلّم والسّامع في سياق محدّد (مادّي، اجتماعي ولغوي) ووصولاً إلى المعنى الكامن في كلام ما.² تدرس التّداوليّة اللّغة في الاستعمال فالواحد منّا لا يستشفّ المعنى من الكلام الحرفي الذي يقوله المتكلّم، وإنّما يجده عند طرفي العمليّة الحواريّة والمقام الذي يتحاوران فيه.

4-3- التّداوليّة والحجاج:

تُشير معظم الدّراسات إلى تداخل التّداوليّة مع حقول أخرى، حيث شارك في تنمية البحث فيها دارسون من مختلف الاتّجاهات (لسانيّات، بلاغة، منطق، الأدب وعلم الاجتماع) وكلّها تُعنى بالخطاب.

ذكر "محمود أحمد نحلة" مميّزاتها عن غيرها من اتّجاهات البحث، فهي تقوم على دراسة الاستعمال اللّغوي، أو هي لسانيّات الاستعمال اللّغوي، وموضوع البحث فيها هو توظيف المعنى اللّغوي في الاستعمال الفعلي من حيث هو صيغة مركّبة من السّلك الذي يولّد المعنى، وتعدّ التّداوليّة نقطة التقاء مجالات العلوم ذات الصّلة باللّغة بوصفها، وصلة بينها وبين لسانيّات الثّروة اللّغويّة.³ إذ تُعتبر التّداوليّة من بين أهمّ العلوم التي تتقاطع مع الحجاج. توسّع مفهوم التّداوليّة ليشمل جانباً مهمّاً في التّعاملات الخطابية اليوميّة بين

¹ - عبد الرّحمان طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص28.

² - محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دط، 2006م، دار المعرفة، ص14.

³ - يُنظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، ص14-15.

الأفراد، تمثل في الحجاج كآلية حوارية تداولية، حيث أصبحت تنظر إلى اللغة التي تمثل الحجاج في شموليتها وعلاقتها بالعالم والإنسان، كشكل من أشكال السلوك البشري.¹ فبعدما كان اهتمام التداولية ينصبّ حول دراسة اللغة في الاستعمال، أصبحت تهتمّ بدراسة الحجاج في تلك اللغة ومدى قدرة المتكلم على إقناع خصمه وإذعانه.

نستخلص أنّ الجانب التداولي للحجاج يظهر من خلال استعماله بنية لغوية معينة تتحكّم فيها ضوابط خارجية، وتدفع بالمتلقّي إلى فعل معين، سواء على مستوى سلوكياته أو على مستوى قناعاته وأفكاره، وبالتالي ترتسم بنية الحجاج في شكل فعل كلامي والذي يعتبر الغرض الرئيسي للتداولية إذ يقول (فان دايك): "وغني عن القول أنّ تحليلاً سليماً لأفعال الكلام هو الغرض الرئيسي للتداولية (أفعال الكلام) لأنّه لا يمكن أن يتمّ بغير فهم مسبق لمعنى الفعل أو التصرف".² وتعتبر أفعال الكلام من الآليات التداولية للحجاج والتي سنتعرّض لها بالتفصيل في الآليات الحجاجية.

5- آليات الحجاج:

5-1- الآليات اللغوية:

يعتمد المتكلم أثناء نقله لخطاب ما إلى المستمع على أدوات ووسائل تساعده في جعل خطابه مقنعاً، ومُحصّناً بطاقة حجاجية تدعن السّامع، وتجعله يصل إلى غايته وسنعرض هذه الأدوات كالتّالي:

¹ - يُنظر: عبد السلام عشير، عندما نتواصل نُغيّر، ص 102.

² - فان دايك، النصّ و السّياق (استقصاء البحث في الخطاب الدّلالي والتّداولي)، تر: عبد القادر قنيني، دط المغرب: 2000، أفريقيا الشّرق، ص 227.

5-1-1- التوكيد: هو أسلوب يستعمله الخطيب في كلامه من أجل أن يكسب حجه قوة، وقد قيل عنه: "التأكيد تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره، وفائدته إزالة الشكوك وإمالة الشبهات لما أنت بصدده، وهو دقيق المآخذ كثير الفوائد.¹ فالتأكيد يزيد كلام المخاطب قوة، ويكسبه طاقة حجاجية، إذ يزيل الشبهات من نفس المخاطب ويجعله يقتنع بما يُعرض أمامه.

5-1-2- التكرار: يُعتبر ضمن الأساليب الحجاجية التي يستعين بها المتكلم لتدعيم رأيه، وإقناع خصمه "وفائدته العظمى التقرير، وقد قيل الكلام إذا تكرر تقرر.²

5-1-3- اسم الفاعل: "وهو ما اشتقّ من فعل لمن قام به بمعنى الحدوث.³ ويستعمل في الخطاب باعتباره حجة يستعملها المتكلم ليصدر الحكم الذي يريد لكي يصل إلى نتائج من خطابه.

5-1-4- اسم المفعول: "وهو ما اشتقّ من فعل لمن وقع عليه.⁴ ويعتبر أيضاً من الألفاظ المستعملة في بناء الحجج.

¹ يحيى بن حمزة العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإيجاز، تح: عبد الحميد هنداي، دط، دت المكتبة المصرية، ص94.

² بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دط، القاهرة: 1427هـ-2006م، دار الحديث ص10.

³ يوسف حسن عمر، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، تح: يحيى بشير مصري، ط1، بيروت، لبنان: 1417هـ-

1996م، دار الكتب العلمية، مج1، ص150

⁴ المرجع نفسه، ص741.

5-1-5- الصفة المشبهة: هي "كلّ صفة اشتقت منها غير اسمي الفاعل والمفعول على أية هيئة كانت، بعد أن تجري عليها التثنية والجمع والتأنيث".¹ وهي كغيرها من الصيغ التي تزيد من طاقة الكلام وقوته الحجاجية.

5-2- الآليات البلاغية:

يُعدّ الجانب البلاغيّ آليّة من آليات الخطاب التي تسهم في بناء حجج المخاطب وتقوية كلامه، فيلجأ إلى استعمال أساليب جميلة، وعبارات منمّقة، وألفاظ مسجوعة، ذلك كلّه ليكسب كلامه طاقة حجاجية يتمكّن من خلالها بإقناع المخاطب، وسنورد بعض الآليات منها:

5-2-1- التشبيه: هو من الآليات البلاغية التي تجعل المتلقّي يستعمل عقله من أجل معرفة الموضع الذي ورد فيه، وهو يزيد من درجة اقتناع المتلقّي بما يسمعه. عرفه "ابن رشيق" بأنّه "صفة الشّيء بما قاربه وشاكله، من جهة واحدة، أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته، لأنّه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إيّاه، ألا ترى أنّ قولهم (خذ كالورود) إنّما أرادوا حُمرّة أوراق الورد وطراوتها، لا ما سوى ذلك".² فالتشبيه يجعل المتلقّي يقتنع بقول المتكلّم عن طريق تقريب المعنى، ومما سبق نستنتج أنّ للتشبيه قيمة تداولية أيضاً، وهي الجمع بين قصد المتكلم والهدف الذي يريد أن يبلغه.

5-2-2- الاستعارة: تُسهم الاستعارة في بناء الحجج من أجل الإقناع والتأثير، يُعرفها "الجرجاني" بأنّها: "نمط من التمثيل، وهي ما تُدركه العقول وتستنتج فيهِ الأفهام والأذهان

¹ - أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمّد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، ط2، بيروت، لبنان: 1407هـ-1987م، دار الكتب العلميّة، ص50.

² - ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشّعْر وأدابه ونقده، تح: صلاح الدّين الهوارى وهدى عودة، ط1، بيروت لبنان: 1416هـ-1996م، دار الهلال، ج1، ص455.

لا الأسماع والآذان.¹ فالاستعارة في منظوره هي انتقال اللفظ مما وُضع له في الأصل إلى معنى آخر، من هنا يظهر لنا أنّ كلّ صورة هي عبارة عن حجة.

5-2-3- الكناية: تُعتبر الكناية هي الأخرى من وسائل الحجاج التي نصل من خلالها إلى إفهام السامع بسهولة بُغية إقناعه، وتُحرّك آليات الفهم والتأويل لدى المُتلقي، يُعرفها "العسكري" بقوله: "هي أن يُكنّى عن الشيء، ويُعرض به ولا يُصرّح."²

5-2-4- الإيجاز: أشار القدماء إلى أهميته ودوره الفعّال في العملية الحجاجية، نجد "ابن رشيق" يقول عنه: "هو العبارة عن الغرض بأقلّ ما يمكن من الحروف."³ أي أن نستعمل ما قلّ من الكلمات، لكن بقدر وفير من المعنى، أمّا عن الجانب الحجاجي فيه فيمثّل سلاحاً لمواجهة النسيان وعدم الانتباه، فهو وسيلة من وسائل التأثير والاستمالة على المُتلقي، وأشار إليه "روبول" بقوله: "الإيجاز هامٌّ من زاوية تُعنى بالحجاج، لأنّه يُشكّل سلاحاً نواجه به العدوين القاتلين، النسيان وعدم الانتباه."⁴ فهو يُنادي بعدم الإسهاب والتطويل في الشرح لأنّ ذلك يُؤدّي إلى ملل المستمع وقلة تركيزه، إذن علينا أن نستعمل كلمات وجيزة بحجج قويّة، فإنّ "للإيجاز إفهاماً، وللإطالة استهماً."⁵

¹- أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرّحمان بن محمّد الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، تح: محمود محمّد شاكر دط، جدّة، السعودية: دت، دار المدني، ص20.

²- العسكري، الصناعتين، ص468.

³- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر، ص397.

⁴- أوليفي روبول، هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي؟، نقلا عن: سامية الذريدي، الحجاج في الشعر العربي، ط2 إربد، الأردن: 2011م، عالم الكتب الجديد، ص123.

⁵- أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص174.

5-2-5- الإطناب: عرّفه "السكاكي" بقوله: "هو أداؤه بأكثر من عباراتهم، سواء كانت القلّة أو الكثرة راجعة إلى الجُمْل أو إلى غير الجُمْل".¹ تُستعمل هذه الآليّة في عرض الحجج من أجل إقناع المتلقّي بما يحمله المتكلّم، فقد يحتاج المستمع أحياناً إلى الإطالة في الكلام إمّا لضعف فهمه أو لقلّة درجة الاستيعاب لديه.

نُضيف إلى الألوان البيانيّة المحسّنة البديعيّة، فهي بدورها لها قوّة حجاجية، ولا تقتصر على الجانب الشكلي الذي يهتمّ بزخرفة الألفاظ وجمال الأسلوب فقط، بل لها دور حجاجي وتهدف إلى البلوغ بالخطاب إلى غايته وهي الإقناع.

5-2-6- السّجع: عرّفه "ابن الأثير" بأنّه: "تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد".² فهو يَعدّ من المحسّنات اللَّفظيّة الجماليّة التي تزيد في طاقة الكلام الحجاجيّة.

5-2-7- الطّباق والجناس: الطّباق هو "الجمع بين الشّيء وضدّه في جزء من أجزاء الرّسالة أو الخطبة".³ أمّا الجناس فهو "أن يأتي في آخر الكلام بما يوافق أوّله، وقد يكون الاتفاق على جهة المساوات".⁴ ويعدّ هذين المحسّنين البديعيّين إضافة إلى ما يحملانه من جماليّة في اللَّفظ، من الأساليب التي تُساهم في إذعان المستمع.

¹- يُنظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص277.

²- ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبّانة، ط2، مصر القاهرة: دت، دار النهضة، ص210.

³- أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص16.

⁴- يحيى بن حمزة بن عليّ بن إبراهيم العلوي اليميني، الطراز (المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإيجاز)، دط مصر: 1663هـ-1914م، دار الكتب الخديويّة، ج3، ص306.

5-3- الأليات التداوليّة:

5-3-1- الأفعال الكلاميّة: تُعدُّ من الأليات التي لها أهميّة بالغة في جعل الكلام حجاجياً، من خلال الأثر الذي تُنتجه في القول والدور الذي تُؤديه في الإقناع. يُعرّف الفعل الكلامي بأنّه: "فعل التلقظ بصيغة ذات صوت مُحدّد، وتركيب مخصوص، ودلالة معيّنة".¹ أمّا "فان دايك" (Vandyk) فيقول بأنّها "في الواقع وفق وصف مفهوم الحدث أحداثاً بإنتاج سلسلة من الأصوات، بوصفها منطوقات لغة مُعيّنة".² انطلاقاً من تحديد معاني أفعال الكلام يرى "فان دايك" أنّها الغرض الرئيسي للتداوليّة كما أشرنا سابقاً في علاقة التداوليّة بالحجاج.

يرى "أوستين" (Austine) أنّ هذه الأفعال لا تُشكّل الوسائل الوحيدة التي بإمكان المتكلّمين اعتمادها عند الكلام والعمل في ذات الوقت، ثمّ إنّ الأقوال عندما تصبح أعمالاً يتعدّر علينا الحكم عليها بالصدق أو الكذب.³ وعليه فإنّ كلّ العبارات الملفوظة الإنجازيّة على نوعين: إنجازيّة (صريحة، مباشرة)، وإنجازيّة (ضمنيّة، غير مباشرة).⁴ فالأفعال المباشرة يكون فعلها ظاهراً أمّا الضمنيّة فيكون فعلها غير ظاهر يستلزم التّأويل. ثمّ قسّم الأفعال الكلاميّة إلى خمسة مجموعات:

- الأفعال الحكميّة (الإقراريّة) (Verdictifs) حكم، أمر، إصدار قرار، طلب.

¹ - عبد الرّحمان طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص260.

² - فان دايك، علم النّص (مدخل متداخل الاختصاصات)، تح: سعيد حسن بصيري، ط1، مصر: 1421هـ - 2001م دار القاهرة للكتاب، ص130.

³ - يُنظر: الجيلالي دلّاش، مدخل إلى اللسانيّات التداوليّة، تر: محمّد يحياتين، دط، بن عكنون، الجزائر: دت، دار الكتب، ص23.

⁴ - ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيّات التداوليّة، ص96.

- الأفعال التمرسية (Exersitifs) انتخاب، تعيين، استشارة.
- أفعال التكليف (الوعديّة) (Comessifs) تُلزم المتكلم، وعد، تمنى، أقسم.
- الأفعال العرضية (التعبيرية) (Expositifs) عرض مفاهيم منفصلة، أكد، أجب، وهب.
- أفعال السلوكيات (الإخباريات) (Comportementaux) رُود أفعال، تعبيرات توجه السلوك، اعتذر، هياً، رُحِب.¹

نجد أنّ كلّ هذه الأفعال تُسهم بأدوار مختلفة في صناعة الحجج فقوتها تتلخص في ما تنتجه من أثر لدى السامع، والدور الذي تؤديه في إقناع المتلقي.

5-3-2_ الروابط الحجاجية (Les Connecteurs Argumentatifs):

هي التي "تربط بين ملفوظين أو أكثر في إطار استراتيجية حجاجية واحدة."² هي عبارة عن أدوات لغوية دورها هو الربط بين حجّتين أو أكثر، ويقول أبو بكر العزاوي: "إنّ الروابط والعوامل الحجاجية هي المؤشر الأساسي والبارز."³ ثمّ ميّز بين أنماط عديدة من الروابط منها: "الروابط المدرجة للحجج، وتضمّ كلّ من (حتّى، بل، لكن، لأنّ، مع ذلك) والروابط المدرجة للنتائج (إذن، لهذا، وبالتالي) والروابط التي تدرج حججاً قوية وتضمّ (حتّى، بل، لكن)، وروابط التعارض الحجاجي (بل، لكن، مع ذلك)، وروابط التساوق الحجاجي (حتّى، لا سيما)."⁴ نلاحظ أنّه لكلّ نوع من أنواع الحجج الروابط الخاصة بها. انطلاقاً من تصنيفه هذا أعاد التمييز بين صنفين من هذه الأدوات الحجاجية، وهي:

¹- يُنظر: فرانسواز أرمينيكو، المقاربة التداولية، ومصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، نقلاً عن: خليفة بوجادي

في اللسانيات التداولية، ص 97.

²- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 27.

³- المرجع نفسه، ص 55.

⁴- المرجع نفسه، ص 30.

الرّوابط الحجاجيّة (Les connecteurs)، والعوامل الحجاجيّة (Les opérateurs) فالرّوابط تربط بين حجّتين أو أكثر (بل، لكن، لا سيما حتّى، إذن)، أمّا العوامل الحجاجيّة فهي تربط بين حُجّة ونتيجة، أو بين مجموعة من الحجج (ربّما، تقريباً، كاد، قليلاً).¹ وهذا ما سنُحاول رصده وتتبعه في الجزء التّطبيقي من البحث.

3-3-5_ السّلام الحجاجيّة (Les Echelles Argumentatifs): هي

حسب (طه عبد الرّحمان): "عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مُزوّدة بعلاقة ترتيبيّة."² هي عبارة عن مجموعة من الحجج تتفاوت في درجة قوتها وتُرتّب وفق هذا المعيار. ثمّ إنّ هناك شرطين أساسيين للسّلم الحجاجي هما:

"- كلّ قولٍ يقع في مرتبة ما من السّلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطّرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

- كلّ قولٍ كان في السّلم دليلاً على مدلول معيّن، كان ما يعلوه مرتبة دليلاً أقوى عليه."³ حسب "طه عبد الرّحمان" فإنّ السّلم الحجاجي يسمح لنا بترتيب الحجج من الأقوى إلى الأضعف، إضافة إلى أنّه يُرتّبها في فئات حجاجيّة.

ثمّ استخلص ثلاثة قوانين أساسيّة للسّلم الحجاجي وهي:

¹- يُنظر: أبو بكر العزّاوي، اللّغة والحجاج، ص25.

²- عبد الرّحمان طه، اللّسان والميزان، ص277.

³- المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

أ- **قانون الخفض (Loi d'abaissement)** : ينتج عن طريق النفي اللغوي وعرفه: "إذا صدق القول في مراتب معيّنة من السلم الحجاجي فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها."¹

ب - **قانون تبديل السلم**: "مقتضى هذا القانون أنه إذا كان القول دليلاً على مدلول معين فإن نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله."² ويكون هذا القانون مرتبط بالنفي فإذا استخدم المتكلم قولاً لخدم نتيجة فإن نفيه يكون حجة لصالح النتيجة المضادة لها.³

ج - **قانون القلب**: مقتضاه أنه إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول.⁴ هذا القانون يرتبط بالنفي أيضاً ومفاده أن السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس الأقوال الإثباتية.

¹ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

² - المرجع نفسه، ص 278.

³ - يُنظر: عبد الرّحمان طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 278.

⁴ - يُنظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

المبحث الثالث: الخطاب الحجاجي (الأنواع والخصائص).

سبق وأن تطرقنا - في المبحثين السابقين - إلى ماهية الخطاب والحجاج، وفي هذا المبحث سنحاول أن نربط بينهما لندرس الخطاب الحجاجي، ونتطرق إلى أنواعه وخصائصه.

1- الخطاب الحجاجي وخصائصه العامة:

الخطاب هنا مقترن بوصف "الحجاجي"، فهو بذلك يتعلّق بالحجاج، والذي يمكن تعريفه بأنّه: "فعالية تداولية جدلية، ويرتبط أشد الارتباط بعناصر المقام، فكّما وقفنا على لفظ الحجاج تسارعت إلى أذهاننا دلالاته على معنى التفاعل، فهو أصل كلّ تفاعل بين طرفي الخطاب.¹ فهنا تتجلى العلاقة بين الخطاب والحجاج، فمن خلال هذا التعريف نفهم أنّ الخطاب الحجاجي هو تفاعلي بامتياز، حيث تكون صفة التفاعل بين طرفي الخطاب (المخاطب، والمخاطب).

قبل الحديث عن الخطاب الحجاجي في الأربعين النووية، يجدر بنا الإشارة إلى أنّه "ليس كلّ خطاب بالضرورة حجاجاً، فقد تكون نهاية خطاب ما ذاتية أي دون أن تهدف إلى إقناع، وحتى إن كانت هناك تعابير حجاجية فإنّها تأتي بشكل عرضي، فالخطاب اليومي الذي يُجرّيه النَّاس فيما بينهم، من أجل التّعارف، أو نقل المعلومات، أو تبادلها أو تقديم معطيات، لا يكون من أهدافه سَوْق حجة أو الاستدلال على موقف أو الدّفاع عن أطروحة."² ومعناه أنّه ليس بالضرورة أن يكون كلّ خطاب يحمل في ذاته طبيعة حجاجية، فقد تكون نهاية خطاب ما ذاتية أي لا

¹ - بلقاسم دفة، استراتيجيات الخطاب الحجاجي (دراسة تداولية في الإرسالية الإشهارية العربية)، ع10، بسكرة الجزائر: 2014م، مجلة المخبر، ص 496.

² - عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير (مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج)، ص 128.

تحمل غاية إقناعية، وأبسط مثال على ذلك هو خطابات الناس اليومية، التي تكون لغرض التعارف، أو تبادل المعلومات والمعارف، فهي بذلك لا تكون لغاية الدفاع عن موقف معين، أو تبني رأي ما.

وهذا ما يؤكده "بلانتين" (Plantin) في قوله: "من التسرع الاعتقاد أنّ الخطاب يكون لغاية حجاجية فقط، فهناك كثير من الأقوال نستعملها في شكل عمليات غير حجاجية."¹ كذلك بالنسبة لمدوّنتنا، فليس بالضرورة كلّ خطاب وارد فيها هو ذات طبيعة حجاجية فقد تكون هناك خطابات لا تحمل غرض الإقناع.

يمكننا التمييز بين الخطاب الحجاجي والخطابات الأخرى: "كون الخطاب الحجاجي مبنياً، وموجّهاً، وهادفاً، ومبنياً بناءاً استدلالياً يتم فيه اللجوء إلى الحجّة والاستدلال، والمنطق، والعقل، وموجّهاً مسبقاً بظروف تداولية تدعو إليها إكراهات قولية أو اجتماعية، أو ثقافية، أو علمية، أو عملية، أو سياسية تتطلب الدفاع عن الرّأي، أو الانتصار لفكرة، أو تتطلب نقاشاً حجاجياً يلامس الحياة الاجتماعية أو المؤسساتية بهدف تعديل فكرة أو نقد أطروحة."² وبالتالي فليس كلّ خطاب يُنشأ يكون خطاباً حجاجياً، ولكي يكون كذلك لابدّ على هذا الخطاب أن يُقنع مُستمعَه وينبني على الحجج والاستدلال، والاعتماد على الظروف الخارجية والسياق، وذلك للدّفاع عن رأي أو انتصار لفكرة ما أو تعديلها، أو نقد أطروحة ما.

وعلى أساس ذلك، وحتى يتم التمييز بين الخطاب الحجاجي والخطابات الأخرى لابدّ من ذكر بعض الخصائص العامة التي يتمييز بها الخطاب الحجاجي.

¹ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

1-1- خاصية البناء والدينامية: لا يوجد حجاج جاهز أو معطى، بل هو عملية يتم بناؤها تدريجياً، وتتطلب تكتيماً مستديماً لعناصر هذه العملية إلى نهاية إتمام الحجاج سواء كان ذلك على شكل خطاب، أو عرض حجّة، أو جدال وبالتالي فإنّ فعالية الخطاب الحجاجي تأتي من طريقة بنائه وتفاعل عناصره ودينامية مكوّناته فالالاقتصاد في الأدلة الحجاجية مثلاً يكون له دور مهم في عملية الإقناع، أمّا المبالغة في سرد الحجج والإفراط في الاعتماد عليها في غير مناسبة يُفقد الحجاج فعاليته وقوته، لأنّ العقل البشري يستطيع معالجة عدد محدود من عناصر القول لذلك لا بدّ من التركيز على الأهم والأساسي في الحجاج¹، ومعنى هذا أنّ الخطاب يتّصف بصفة البناء للحجج بشكل تدريجي، فالحجاج لا يتجسّد في الخطاب بصورة جاهزة، ولا تكون الحجج فيه مقدّمة ومعطاة بطريقة مباشرة ومنذ البداية، وإنّما المخاطب هو الذي يقوم بتكوين الحجاج تدريجياً عن طريق بناءه وتفاعل عناصره فيقوم مثلاً بالبحث عن الحجج الهادفة واختيار الأكثر قوة منها وذلك لإذعان المخاطب وضمأن إقناعه.

1-2- خاصية التفاعل: الخطاب الحجاجي تفاعلي، فهو حسب "طه عبد الرحمان" يقوم على مبدئين أساسيين: هما مبدأ الادّعاء ومبدأ الاعتراض، هذان المبدآن يُؤدّيان إلى اختلاف في الرّأي أو في الدّعوى، فالمتكلم يُقدّم رأيه في صورة دعوى من عنده يدّعيها بمحضر المستمع، والمستمع هو الآخر يجيء برأيه في صورة اعتراض من عنده ينتقد به الدّعوى المعروضة عليه، وهنا يدخلان في ممارسة الدّفاع أو الانتصار للدّعوى، فينشأ نوع من التّزاوج لذات المتكلم ولذات المستمع

¹ - ينظر: عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير (مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج)، ص

سواء كان تزوجاً ظاهراً أو اعتبارياً (مفترضاً)¹، فخاصية التفاعل في الخطاب الحجاجي تكون بين المتكلم والمستمع، وذلك حين يقوم المتكلم بعرض رأيه في صورة دعوى، معتمداً على مجموعة من الحجج والأدلة ليدافع عن موقفه، وهذا ما يُطلق عليه "طه عبد الرحمان" بمبدأ الادعاء، ويقوم المستمع بعرض موقفه أو رأيه في صورة اعتراض، وهذا يمثل مبدأ الاعتراض، وهكذا يحدث التفاعل بين طرفي الخطاب سواء كان هذا التفاعل مباشراً أو غير مباشر أي اعتبارياً أو مُفترضاً. وتكمن أهمية التفاعل (المباشر وغير المباشر) بين المتكلم والمستمع في ضرورة الالتزام بطبيعة الأرضية المشتركة بينهما، وهي أرضية تضم كل الإمكانيات الخطابية الخاصة بمقام ما، وتتمثل في معلومات مضمونية، وسائل ترتيبية واستدلالية ووسائل تحصيلية، وذلك لمراعاة اعتقادات المتكلم والمخاطب وردود أفعالهما.²

وبالتالي فالتفاعل هو تزواج -كما يُسميه "طه عبد الرحمان"- بين المتكلم والمستمع وتظهر أهميته بضرورة الالتزام بطبيعة الأرضية المشتركة بينهما.

1-3- خاصية الالتباس: الخطاب الحجاجي التباسي، فإذا كانت اللغة الطبيعية أصلاً لكلّ غموض دلالي، ومجالاً لكلّ انزياح ومجاز لساني، فإنّ الأمر سيكون معقداً وعسير الفهم في العملية الحجاجية، والحجاج هو عمق الالتباس، ويكمن هذا الالتباس في التقيد بالآليات والأدوات والتقنيات التي يعتمدها الحجاج لبناء القول لذلك لا بدّ أن يبقى المجال مفتوحاً أمام مهارة المتكلم في فن القول وإظهار كفاءته الإبداعية لكي يصل بسهولة إلى إفهام الآخر³، وكما قد يكون الالتباس عن طريق

¹ - ينظر: عبد الرحمان طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 265.

² - ينظر: عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير (مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج)، ص

130.

³ - المرجع نفسه، ص 131.

المجاز إذ يقول عنه "طه عبد الرحمان": "هو الاستدلال بعبارة الدّعى والإشارة وهذا الجمع هو عين الالتباس المطلوب في الحجاج.¹ معناه أنّ الخطاب الحجاجي يتميّز بخاصية الالتباس، وذلك عندما يتقيد المتكلم بآليات الحجاج وأدواته وتقنياته بالإضافة إلى اعتماده على المجاز الذي يعتبر إحدى أهم آليات الحجاج فهو يؤدي إلى نوع من الغموض، فيتجسد في الخطاب اللبس وعدم الوضوح بالنسبة للمستمع، وهذا ما يجعله يقوم بتأويل كلّ قول يُطرح عليه.

1-4- خاصية التأويل: تعتبر هذه الخاصية وجه من أوجه النشاط الحجاجي تقوم بتقييم القول الحجاجي سواء تقييما إيجابيا أو سلبيا، وذلك عن طريق تعالق عنصري الفهم والتأويل أي فهم أولي لمعنى القول، ثم فهم ثان أو تأويل لمعنى القول وهنا تدخل مجموعة من العوامل الخارجية لتحديد البعد التأويلي.² وهذا يعني أنّ الخطاب الحجاجي ذو خاصية تأويلية، تقوم بتقييمه من خلال تلقي القول ثم فهم معناه الصريح والضمني، وذلك بالاعتماد على العوامل الخارجية والسياقات التي تساعد على عملية التأويل، ويقول "موشلير" (Mushler) في هذا الشأن: "إنّ المتكلم لا يقدم قوله كما لو كان وصفا عاديا، لكنّه بالأحرى يقدم تقييما (إيجابيا أو سلبيا) وهو مقتضى وصف القول بالفعل الحجاجي."³ وبالتالي فإنّ النظرية التأويلية تعتمد على السياق في تأويل الخطاب.

1-5- خاصية الاعتقاد: إنّ استهداف اعتقادات الإنسان يُمثّل إحدى الجوانب الأساسية في العملية التخاطبية ويشكّل رهانا صعبا في كلّ حجّاج، وهذه الاعتقادات

¹ - عبد الرحمان طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 231.

² - ينظر: عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير (مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج)، ص

132.

³ - عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير (مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج)، ص 132.

هي ملتقى الأخلاق المقبولة في مجتمع ما، لا تقبل النقاش والجدال ولا تخضع للتحليل العلمي والتمحيص الدقيق، ولا تقوم على قواعد مضبوطة، وإنما تقوم على أنساق فكرية، وعلل تمتزج فيها الأقوال بالأفعال، والمبادئ بالمسلّمات، والأقوال الكونية بالسياقية الظرفية، كلّها تتفاعل لتؤسّس أحكام القيمة.¹ فاعتقادات الإنسان تُعتبر إحدى الأمور الأساسية التي يبنى على أساسها الخطاب، فعلى المخاطب أن يراعي اعتقادات المخاطب، والحجج والأدلة المعتمدة في الخطاب تبنى على أساس هذه الاعتقادات.

1-6- خاصية الانتهاض إلى العمل: فتأثير القول الحجاجي غالبا ما يدفع إلى رد فعل معيّن، قد يكون عملا أو كفا عن عمل أو عدولا عنه أو تحويلا لمساره وهذا العمل هو الذي يؤكّد باللموس حصول اقتناع معيّن، وحصول الاقتناع لدى المستمع لا يكون إلا بعد مطابقة الفعل الحجاجي لفعل صاحبه، باعتبار المطابقة دليلا وحجة مادية تنسحب على المتكلّم، وتؤكّد موقفه.² أي أنّ تحقيق المتكلّم غايته وتأثير القول الحجاجي يؤدّي إلى ردة فعل من قبل المستمع باقتناعه بما قدّمه له المتكلّم من حجج وأدلة، لتبني موقفه وتأكيد، وهذا الاقتناع يحصل بمطابقة القول الحجاجي لفعل صاحبه وهذا ما يجعله مرهونا بالاقتناع والعمل، وهذه الخاصية التي يميّز بها الخطاب الحجاجي يُسميها "طه عبد الرحمان" مبدأ الانتهاض إلى العمل ويعرّفها بأنّها: "الدليل الذي يجب اعتماده للعمل بعد أن يكون الاعتقاد قد حصل."³

¹ - ينظر: عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير (مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج)، ص 133.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 134.

³ - عبد الرحمان طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 237.

فهي بهذا تعتبر مبدأ هام وأساسي ليس في العملية الحجاجية فحسب، بل في كل العمليات التواصلية والخطابية، والتعاملية.

2- أنواع الخطاب الحجاجي وخصائص كل نوع:

يمكن حصر الخطاب الحجاجي في ثلاثة أنواع تتمثل في: الخطاب الحجاجي البلاغي، والفلسفي، والتداولي.

2-1- الخطاب الحجاجي البلاغي:

تعتبر البلاغة إحدى أهم آليات الحجاج، "لإعتمادها الاستمالة والتأثير عن طريق الحجاج بالصورة البيانية والأساليب الجمالية، أي إقناع المتلقي عن طريق إشباع فكره ومشاعره حتى يتقبل القضية أو الفعل موضوع الخطاب.¹ ذلك أنّ الأشكال البيانية والبديعية وكذا الأساليب الفنية تلعب دوراً في التأثير في نفسية المتلقي، حتى يتقبل رأي ما أو موقف معين الذي يسعى المحاجج إلى تحقيقه وبالتالي تحقيق أهداف الخطاب، "فإذا كان كل خطاب تواصل، وكل تواصل يقوم على البلاغة، فإنّ وراء كلّ حجاج بلاغة، ووراء كل بلاغة حجاج."² أي أنّ البلاغة والحجاج وجهان لعملة واحدة، فأين ما وُجدت البلاغة وُجد الحجاج، وأين ما وُجد الحجاج وُجدت البلاغة، التي تقوم بتحقيق التأثير وبالتالي حصول الإقناع، والبلاغة هدفها الوضوح والإبانة ووظيفتها التأثير والإقناع بصورها المختلفة وأساليبها الجمالية، فالخطاب الحجاجي البلاغي يجمع بين الحُجج العقلية جانب الصور البيانية، ولهذا "لما كان مجال الحجاج هو المحتمل وغير المؤكّد والمَتوقّع، فقد كان من مصلحة الخطاب

¹ - هاجر مدقن، آليات تشكل الخطاب الحجاجي (بين نظرية البيان ونظرية البرهان)، ص 191.

² - هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه (دراسة تطبيقية في كتاب المساكين "لرافعي")، مذكرة

مقدمة لنيل الماجستير، 2002-2003م، جامعة ورقلة، ص 42.

الحجاجي أن يُقوّي طرحه بالاعتماد على الأساليب البلاغية والبيانية التي تُظهر المعنى بطريقة أجلي وأوقع في النفس.¹ وهذا يدلّ على اتّصال البلاغة بالحجاج واندماجهما في كثير من الأساليب البلاغية والبيانية لتأكيد المعنى والتأثير في المتلقي وإقناعه.

فبالأساليب البلاغية بعيدا عن سياقها البلاغي تؤدي وظيفة لا جمالية، وإنّما وظيفة إقناعية استدلالية، فكثير منها يتوفر على ديناميكية التحوّل لأداء أغراض تواصلية ولإنجاز مقاصد حجاجية وإفادة أبعاد تداولية.²

أمّا الخصائص الأسلوبية للخطاب الحجاجي البلاغي هي: "تلك الخصائص والصوّر البلاغية المحورية التي يتبنّاها الخطاب الحجاجي، ولاسيما الأدبي منه لأنّها تُنشِط الخطاب، وذات وظيفة إقناعية."³ فالخصائص الأسلوبية التي يميّز بها هذا النوع من الخطابات الحجاجية تتمثل في تلك الصوّر البيانية كالاستعارة والتشبيه والكناية وكذا المحسنات البديعية من طباق وجناس ومقابلة وغيرها، فهذه الخصائص هي التي تُنشِط الخطاب وتزيده فعالية كونها تقوم بوظيفة التأثير والإقناع.

ومن الخصائص الأسلوبية أيضا، التي يميّز بها الخطاب الحجاجي البلاغي

نذكر:

- اندماج الحجاج البلاغي عضويا بالخطاب في شكله المكتوب والمنطوق.

¹ - صابر الحباشة، التداولية والحجاج (مداخل ونصوص)، ط1، دمشق، سوريا: 2008م، دار صفحات للدراسات، ص 50.

² - ينظر: صابر الحباشة، التداولية والحجاج (مداخل ونصوص)، ص 50.

³ - هاجر مدقن، آليات تشكل الخطاب الحجاجي (بين نظرية البيان ونظرية البرهان)، ص 191.

- اشتراطه لرغبتين هما إرادة المتكلم (المؤثر والمُفنع)، وإرادة المتلقي (المُتأثر والمُقتنع).

- التأثير في المتلقي وجعله يتقاسم مع المخاطب اعتقاده واقتناعه الخاص، أي التأثير في المتلقي لجعله يتبنى فكرة المخاطب، أو رأيه أو يقوم بالفعل الذي طلبه منه.

- استمالة وإغراء المتلقي عقليا وعاطفيا، لكسب تأييده وتوافقه.

- اشتماله على البعد الاستدلالي والبعد الإمتاعى، أي الجمع بين البيان والبديع.¹

2-2- الخطاب الحجاجي الفلسفي:

للحجاج فعالية كبيرة في الحقل الفلسفي، فهو "بعد جوهرى في الفلسفة، وهو آلية وإجرائية من إجراءاتها."² ومعنى هذا أنّ الحجاج الفلسفي شرط من شروط الفلسفة لأنّ هذه الأخيرة عبارة عن خطاب موجه للعقل، يعتمد على الأدلة والبراهين للدفاع عن أطروحة أو تفنيدها، "وتُقاس صلاحية الحجاج الفلسفي بمعايير خارجية: القوة والضعف، الكفاءة وعدمها، النجاح أو الفشل في الإقناع وغايته: التأثير والتقبّل."³ فالقوة والضعف، الكفاءة وعدمها، النجاح في الإقناع أو الفشل كلّها عبارة عن مقاييس يُقاس بها صلاحية الخطاب الحجاجي الفلسفي، وأمّا هدفه يتمثل في التأثير في المتلقي وتقبّله للرأي أو الفعل موضوع الخطاب.

¹ - ينظر: هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه (دراسة تطبيقية في كتاب المساكين "لرافعي") ص 52.

² - هاجر مدقن، آليات تشكل الخطاب الحجاجي (بين نظرية البيان ونظرية البرهان)، ص 191.

³ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وعن خصائص الخطاب الحجاجي الفلسفي، فتتمثل في الخصائص المناظرية "الحوارية والجدل من متطلبات الحجاج الفلسفي، والمناظرة هي الخاصية الجدلية والحوارية لهذا الحجاج، وهي بنية معرفية للمحاور كمنهج حجاجي، وتُظهر كيفية اشتغال آلية الاعتراض."¹ ومعنى هذا أنّ الحجاج الفلسفي قائم على المحاور والمناظرة، والجدل.

وتتجلى هذه الخصائص المناظرية في:

- المناظرة أو كما يطلق عليها بالمحاور القريبة: وهي تقتضي عارضاً ومُعارضاً وتمتاز عن الحوار بإقامة تقابل يتواجهان فيه.

- التناص أو المحاور البعيدة: تتم على طريقتين:

الطريقة الظاهرية: يعرض المحاور شواهد من أقوال الغير: النقل، والتضمين والحكاية والشرح.

الطريقة الباطنية: يُنشئ بها المحاور نصّه عبر نصوص سابقة مماثلة أو مباينة ويفتح بها آفاق نصوص أخرى مُكمّلة أو مُبدّلة.²

2-3- الخطاب الحجاجي التداولي:

يبعث لفظ التداولية على استحضار " نظرية أفعال الكلام" كون الأفعال الكلامية غرضاً رئيساً للتداولية، ورصدها بتنوعها وعلى اختلاف الأبعاد التداولية المتعدّدة المستويات التي يتيح تحققها إمكانية معرفة توجّه الخطاب الحجاجي التداولي والإجابة الإشكاليات الجوهرية، والأسئلة المهمّة، التي تحيط بعملية التخاطب.³

¹ - المرجع نفسه، ص 192.

² - ينظر: هاجر مدقن، آليات تشكل الخطاب الحجاجي (بين نظرية البيان ونظرية البرهان)، ص 192.

³ - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

تعتبر الأفعال الكلامية أحد أهم المفاهيم التداولية، حيث تُعتبر غرضاً رئيسياً لها فتحقيق الأفعال الكلامية يضمن توجيه الخطاب الحجاجي التداولي، وكذا تتيح هذه النظرية الإجابة على مختلف التساؤلات التي تحيط بعملية التخاطب سواء كان خطاباً منطوقاً أو مكتوباً، ويطلق على التداولية أيضاً لفظ علم التخاطب، كونها تهتم بعملية التخاطب.

وأما خصائص الخطاب الحجاجي التداولي فهو يتميز بخصائص حوارية حيث "تُعَدُّ الحوارية من أهم مستويات تجلّي البعد التداولي للخطاب الحجاجي، وهي العلاقة التخاطبية بين المخاطب والمخاطب"¹.

وتتغير الأداءات الحوارية في ظاهرتي:

"- التشخيص: خاصية تلفظية تتميز بجدة العلاقة الخطابية مع الشريك سواء كان حقيقياً أو مُتخَيِّلاً، فردياً أو جماعياً، أي هو تجريد ذات ثانية ينزلها المخاطب من نفسه منزلة المُعترض على دعواه وهو نوعان: صريح وضمني.

- المقام: هو مفهوم تجريدي يدل على الموقف التواصلية، وتلتقي فيه جميع العناصر الحجاجية من مقدرات برهانية وحقائق فعلية وقرائن بلاغية، وهو شرط تداولي بلاغي يُعنى بضرورة موافقة أفعال القول لمقتضى الحال والموقف الخاص به."² وهذا يعني أنّ المستوى الحوارية يعتبر من أهم مستويات تجلّي التداولية في الخطاب الحجاجي وتظهر الحوارية من خلال عنصرين مهمين، المتمثلين في التشخيص والمقام، حيث أنّ التشخيص هو خاصية تلفظية تتعلّق بطرفي الخطاب أي شخصيات الخطاب (المتكلم والمستمع) سواء كان المستمع حقيقياً أو خيالياً، فردياً أو جماعياً، وأما المقام فهو السياق الذي يُقال فيه الخطاب، وهو مفهوم تجريدي يدلّ على جميع المكونات

¹ - هاجر مدقن، آليات تشكل الخطاب الحجاجي (بين نظرية البيان ونظرية البرهان)، ص 192.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الحجاجية، من حجج وأدلة، وقرائن لغوية وبلاغية، ويُعتبر المقام أهم شرط من شروط البلاغة والتداولية يهتم بمراعاة مقتضى الحال، أي مطابقة الفعل الكلامي للموقف الذي يُقال أو يحدث فيه.

الفصل الثاني: الخطاب الحجاجي في الأربعين

النوعية

- التعريف بالإمام النووي وبالمدونة
- آليات الخطاب الحجاجي اللغوية والبلاغية
- الجانب التداولي للحجاج في أحاديث

الأربعين النووية

المبحث الأول: التعريف بالإمام النووي وبالمدونة.

1- الإمام النووي:

1-1- اسمه ونسبه:

هو أبو زكريا يحيى بن الشيخ الزاهد الورع أبي يحيى شرف بن مُرِّي، بن حسن بن حسين، بن محمد بن جمعة بن حزام الحزامي النووي، وكان هناك من يزعم أن نسبه "الحزامي" إلى حزام أبي حكيم الصحابي، وقد صحَّح ذلك النووي، وقال: غلط، وحزام جدّه نزل في الجولان بقرية "نوى" على عادة العرب، فأقام بها ورزقه الله ذرية، حتى صار منهم خلق كثير.¹ وهذا ما يقودنا إلى إدراك عمق نسبه وصحّته دون أيّ مغالطاتٍ معلّقة. وأمّا لقبه فلقب بمحي الدين وكان رحمه الله - يكره أن يُلقب به تواضعا لله تعالى، وذلك أن الدين في رأيه حيٌّ ثابتٌ دائمٌ غير محتاجٍ إلى من يُحييه، أمّا أبوه فهو شرف الدين بن مُرِّي، كان دُكَّانِيًا بنوي، وُصِفَ بالشيخ الزاهد المبارك وليّ الله². والنووي نسبة إلى نوى وهي قاعدة الجولان الآن، من أرض حوران من أعمال دمشق فهو دمشقي، لأنّه أقام بها ثمانية وعشرين عاما، فقد عُرفت نوى به، وصارت خالدة بخلوده، وهناك من يلقبه بالنووي أو بالنواوي، وكان رحمه الله - يكتبها بخط يده النووي³. الهدف الذي يرمي إليه هذا القول هو تبيان وإبراز أهميّة نقاء اللقب والمنهل الذي نبع منه النّووي على غابر الزّمن.

¹ - ينظر: محي الدين النووي، شرح سنن أبي داود السجستاني (وفي مقدمات تحقيقه تحفة الطالبين في ترجمة الإمام النووي)، تح: أبو عبدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، عمان، الأردن: 1428هـ-2007م، الدار الأثرية، ص 41-40.

² - ينظر: عبد الغني الدقر، الإمام النووي، ط4، بيروت، لبنان: 1415هـ-1994م، دار القلم، ص 20-21.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 19-41-42.

1-2- مولده ونشأته:

1-2-1- مولده:

وُلد الإمام النووي في العشر الأوسط من المحرم، وقيل في العشر الأول سنة إحدى وثلاثين وستمائة (631هـ) بنوى.¹

1-2-2- نشأته:

عاش النووي في كنف أبيه ورعايته ونشأ في سترٍ وخيرٍ، وبقي يتعيش في دكان أبيه مدةً، وكان الله قد أعدّه منذ طفولته وصباه لحمل عبء الوراثة النبوية في العلم والورع والصلاح، حتى قيل عنه: إنّه حين وُلد كُتب من الصادقين، ويثبت ذلك أنّه لمّا بلغ من العمر سبع سنين، كان نائماً ليلة السابع والعشرين من رمضان بجانب والده، فانتبه نحو نصف الليل، يقول والده: وأيقظني، وقال يا أبتى ما هذا الضوء الذي قد ملأ الدار؟ فاستيقظ أهله جميعاً، فلم نر كلنا شيئاً، قال والده: فعرفت أنّها ليلة القدر، ولمّا بلغ عشر سنين جعله أبوه في الدكان، فكان لا يشتغل بالبيع والشراء عن القرآن.² وذكر الشيخ "ياسين بن يوسف المراكشي"، أنّه رأى الشيخ "محي الدين" وهو ابن عشر سنين بنوى والصبيان يُكرّهونه على اللعب معهم، وهو يهرب منهم، ويكي لإكراههم، ويقرأ القرآن في تلك الحال، يقول الشيخ "ياسين": فوق في قلبي محبته، فأتيت الذي يقرئه القرآن فوصيته به، وقلت له: هذا الصبي يرجى أن يكون أعلم أهل زمانه وأزهدهم، وينتفع الناس به فقال

¹ - ينظر: المرجع نفسه، ص 22.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 22-23.

لي: أُنجم أنت؟ فقلت: لا وإنما أنطقني الله بذلك، فذكر ذلك لوالده، فحرص عليه أن ختم القرآن، وقد ناهز الاحتلام¹.

وكان -رحمه الله تعالى- لا يأكل في اليوم والليلة إلا أكله واحدة، وقوته من قبل والده يجري عليه في الشهر الشيء الطفيف، ودرّس بدار الحديث الأشرفية وغيرها ولم يتناول فلسا واحدا². فهو بهذا كان يميّز بالقناعة والتواضع ولا يُجحف في تعليم وتقديم ما أُوتي به من علم وحكمة.

1-3- طلبه للعلم:

قدّم الإمام محي الدين النووي إلى دمشق في سنة تسع وأربعين وستمئة للهجرة (649هـ)، رفقة والده "أبو يحيى" وعمره ثماني عشرة سنة لطلب العلم، وقد بدت النجابة عليه واشتعال رغبته لطلب العلم، وكان أوّل ما اهتمّ به النووي -بعد وصوله إلى دمشق- أن يصل حبله بأحد العلماء ليلازمه ويقراً عليه، ثم أن يجد له مأوى، وأوّل ما قصده عند دخوله دمشق جامعها الكبير، ثم كان له أن التقى بخطيب الجامع الأموي وإمامه الشيخ "جمال الدين عبد الكافي بن عبد الملك بن عبد الكافي الرّبعي الدمشقي"، ثم عرّفه مقصده ورغبته في طلب العلم، فأخذه وتوجّه به إلى حلقة مفتي الشام "تاج الدين عبد الرحمان بن ابراهيم بن ضياء الفزاري" المعروف بالفركاح، فقرأ عليه دروسا وبقي يلازمه مدّة، وهذا أوّل شيخ للنووي، وفي هذه الفترة التي أمضاها عند شيخه لم يكن له مأوى وعندما سأل شيخه عن موضع يسكنه دلّه على "الكامل إسحاق المغربي" بالرواحية فتوجّه إليه ولازمه واشتغل عليه ومنحه الشيخ بيتا في هذه المدرسة، واستمرّ فيه حتى مات، وبعد

¹ - محي الدين النووي، شرح سنن أبي داود السجستاني (وفي مقدمات تحقيقه تحفة الطالبين في ترجمة الإمام النووي)، ص 44-45.

² - ظافر بن حسن آل جبعان، ترجمة الإمام النووي، ط1، شوال 1428هـ، سلسلة التراجم(1)، ص 8.

سنتين من قدومه إلى دمشق في سنة إحدى وخمسين للهجرة وفي شهر رجب حجّ مع والده وأقام نحو شهر ونصف، ومنهم من يقول أنّه حجّ مرتين، وبعد عودته استقرّ في المدرسة الرواحية وأقبل على طلب العلم بكلّ ما يعتلج بقلبه وعقله من شغف وجدّ واستعداد، فقد قال رحمه الله: وبقيت سنتين لم أضع جنبي على الأرض، وحكى "البدر بن جماعة" أنّه سأله عن نومه فقال: إذا غلبني النّوم استندت إلى الكتب لحظة وأنتبه.¹ فهو بهذا كان يستغل كلّ وقته في العلم والمطالعة فكان كثير السهر مكّبا على التحصيل والعمل.

ولقد أثمر النووي -رحمه الله- في العلم من السنّة الأولى، فقد حفظ التنبيه "لأبي إسحاق الشيرازي" في كذا أربعة أشهر ونصف، ثم حفظ ربع العبادات من المهذب "لأبي إسحاق" أيضا في باقي السنة، وعرض حفظه لكتاب التنبيه على "ابن رزين"، وكان كلّ يوم يقرأ اثني عشر درسا على المشايخ شرحا وتصحيحا: درسين في الوسيط، وثالثا في المهذب ودرسا في الجمع بين الصحيحين، وخامسا في صحيح مسلم، ودرسا في اللمع "لابن جنّي" في النّحو، ودرسا في إصلاح المنطق "لابن السّكيت" في اللغة، ودرسا في التصريف، ودرسا في أصول الفقه، ودرسا في أسماء الرّجال، ودرسا في أصول الدّين -وهو التوحيد- وكان يعلّق جميع ما يتعلّق بها من شرح مشكل، وإيضاح عبارة، وضبط لغة، وبارك الله في وقته واشتغاله وأعانه عليه، وهذا ما جعل منه في نحو عشر سنوات عالما في درجة كبار علماء عهده، ثم جعلت منه إمام عصره، وكثرة مؤلفاته المتقنة الرائعة في فترة لا تتجاوز خمسة وعشرين سنة دلالة على أنّ كلّ عمره كان في العلم تعلّما وتعلّما وتألّيفا.²

¹ - ينظر: عبد الغني الدقر، الإمام النووي، ص 25-26-27-28-29-30.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 33-35-36.

1-4-1- شيوخه:

للإمام النووي -رحمه الله تعالى- شيوخ متعدّدون في كلّ علم اشتغل به وعُرف فيه، وخصوصاً علمي الفقه والحديث، فإنّهما غاية الغايات من علمه، وبهما كان إمام عصره¹، وسنحاول أن نورد شيوخه في كلّ علم برز فيه.

1-4-1-1- شيوخه في الفقه:

أول قدومه إلى دمشق لقي الإمام النووي من العلماء الخطيب الأموي الشيخ "جمال الدّين عبد الكافي" ولم يقرأ عليه شيئاً، ولكنّه أخذه وتوجّه به إلى مفتي الشام "تاج الدّين الفزاري"، فلزمه وقرأ عليه، وهو يعتبر أول شيخ للنووي، ثم دله على "الكمال إسحاق المغربي" وكانت أكثر قراءاته عليه، ثم كان شيوخه في الفقه بعد "إسحاق المغربي" "عبد الرحمان بن نوح بن محمد بن ابراهيم بن موسى المقدسي"، ثم "عمر بن أسعد الإربلي" ثم "أبو الحسن سلّار بن الحسن الأربلي"².

1-4-1-2- شيوخه في الحديث:

من شيوخه الذين سمع عنهم وتلقّى منهم الحديث:

- ابراهيم بن عيسى المرادي الأندلسي ثم المصري ثم الدمشقي.
- أبو إسحاق ابراهيم بن أبي حفص عمر بن مضر الواسطي.
- الشيخ زين الدّين أبو البقاء خالد بن يوسف بن سعد النابلسي.

¹ - ينظر: المرجع نفسه، ص 38-39.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 38.

- الرضي بن البرهان.
- شيخ الشيوخ عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن الأنصاري الحموي الشافعي.
- زين الدين أبو العباس بن عبد الدائم المقدسي.
- أبو الفرج عبد الرحمان بن أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي.
- قاضي القضاة عماد الدين أبو الفضائل عبد الكريم بن عبد الصمد بن محمد الحارستاني خطيب دمشق.
- تقي الدين أبو محمد إسماعيل بن أبي إسحاق إبراهيم بن أبي اليسر التنوخي.
- جمال الدين أبو زكريا يحيى بن أبي الفتح الصيرفي الحرّاني.
- أبو الفضل محمد بن محمد بن محمد البكري الحافظ.
- الضياء بن تمام الحنفي واسمه أبو بكر محمد بن نصر الله بن عبد العزيز.
- المفتي جمال الدين عبد الرحمان بن سالم بن يحيى الأنباري ثم الدمشقي الحنبلي.
- شمس الدين بن أبي عمرو، وغير هؤلاء من هذه الطبقة¹.

1-4-3- شيوخه في علم الأصول:

من أجل العلماء الذي أخذ عنه الإمام النووي علم الأصول هو العلامة القاضي "أبو الفتح عمر بن بندار بن عمر بن علي محمد التفليسي الشافعي" إذ يقول تلميذ النووي "ابن العطار": "قرأ -يعني علم الأصول- على جماعة أشهرهم وأجلهم القاضي

¹ - ينظر: المرجع نفسه، ص 42-43-44.

أبو الفتح عمر بن بندار ابن عمر بن علي بن محمد التغلبي الشافعي رحمه الله، قرأ عليه المنتخب للإمام فخر الدين الرازي، وقطعة من كتاب المستصفي للغزالي وقرأ غيرهما من الكتب على غيره¹.

1-4-4- شيوخه في النحو واللغة:

أمّا شيوخ النووي في علم النحو وعلوم اللغة، فقد قرأ على الشيخ "أحمد بن سالم المصري"، وقرأ على "ابن مالك كتاباً" من تصنيفه وعلق عليه، وقرأ على "الفخر المالكي" كتاب اللّمع "لابن جنّي"، وقرأ على الشيخ "أحمد بن سالم المصري" كتاب إصلاح المنطق "لابن السّكيت" بحثاً وكتاباً في التصريف².

1-5- تلاميذه:

سمع منه خلق كثير من العلماء والحفاظ والرؤساء، وتخرّج به خلق كثير من الفقهاء وسار علمه وفتاويه في الأفاق³. ومن تلاميذه:

- خادمه العلامة علاء الدين أبو الحسن علي بن ابراهيم بن داود الدمشقي المعروف بابن العطار، الذي كان لشدة ملازمته له وتحققه به يقال له "مختصر النووي".

- أبو العباس أحمد بن ابراهيم بن مصعب، قرأ عليه قطعة من المنهاج.

- الشمس محمد بن أبي بكر بن ابراهيم سعد الله بن جماعة.

- الشهاب محمد بن عبد الخالق بن عثمان بن مزهر الأنصاري الدمشقي المقري.

¹ - عبد الغني الدقر، الإمام النووي، ص 45.

² - ينظر: عبد الغني الدقر، الإمام النووي، ص 45.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 191.

- شهاب الدّين أحمد بن محمد بن عباس بن جعوان.
- الفقيه المقرئ أبو العباس أحمد الضرير الواسطي الملقب بالخلال.
- النّجم اسماعيل بن ابراهيم بن سالم بن الخباز.
- الشيخ الناسك جبريل الكردي.
- أمين الدّين سالم بن أبي الدّر.
- القاضي جمال الدّين سليمان بن عمر بن سالم الزرعي.
- القاضي صدر الدّين سليمان بن هلال الجعفري، خطيب داريا.
- أبو الفرج عبد الرحمان بن محمد بن عبد الحميد الهادي المقدسي.
- العلاء علي بن أيوب بن منصور المقدسي الذي نسخ المنهاج بخطّه وحرّره ضبطاً وإتقاناً وهو بخطّه في المحمودية.
- محي الدّين أبو زكريا يحيى بن الفاضل جمال الدّين إسحاق بن خليل.
- عبد الرحيم بن محمد بن يوسف السمهودي.
- القاضي ضياء الدّين علي بن سليم.
- شمس الدّين البيطار المعبر.
- شهاب الدّين الإربدي.
- عبد الله بن محمد بن علي.

- شهاب الدين أبو حفص عمر بن كثير والد المُحدِّث المؤرِّخ المشهور بابن كثير¹.

1-6- الكتب التي سمعها:

سمع صحيح البخاري، ومسلم، سنن أبي داود، الترمذي، النَّسائي بقراءته، مُوطاً مالك، مُسند الشافعي، أحمد بن حنبل، الدارمي، أبا عوانة الإسفرائيني، أبا يعلي الموصلي، سنن ابن ماجه، الدَّارُفُطْنِيَّ، والبيهقي، شرح السنَّة للبخاري، ومعالَم التنزيل في التفسير له، وكتاب الأنساب للزبير بن بكار، والخطب النباتية، رسالة القشيري، عمل اليوم والليلة لابن السني، كتاب آداب السامع والراوي للخطيب².

1-7- مؤلفاته:

تُعرف قيمة العالم وشخصيته بتأليفه، فالإمام النووي عاش نحو من ست وأربعين سنة وترك العديد من المؤلفات، التي لو قُسمت على سن حياته لكان نصيب كل يوم كراستين بالإضافة إلى انشغاله بتعليم الطلبة وقراءة الكتب، وقد أَلَّف النووي في علوم شتى: الفقه، والحديث، وشرح الحديث، والمصطلح، والتراجم، والتوحيد وغير ذلك، وكانت مؤلفاته تمتاز بالوضوح وصحة التعبير والسهولة وعدم التكلّف، وتنقسم مؤلفاته إلى ثلاثة أقسام: قسم أنجزه وأتمّه، وقسم أدركته الوفاة قبل أن يتمّه، وقسم غسل أوراقه -أي محاها- وكانوا يغسلونها لأمر ما ولا يتلفونها لحاجتهم إلى ورقها³.

¹ - ينظر: المرجع نفسه، ص 191-192-193-194.

² - محي الدين النووي، شرح سنن أبي داود السجستاني (وفي مقدمات تحقيقه تحفة الطالبين في ترجمة الإمام النووي) ص 60-61.

³ - ينظر: عبد الغني الدقر، الإمام النووي، ص 157-158-159.

ومن مصنفاته التي أتمّ تأليفها وعمّ النفع بها:

- المنهاج في شرح صحيح مسلم.
- المبهمات.
- رياض الصالحين.
- الأذكار.
- كتاب الأربعين.
- التيسير في مختصر الإرشاد في علوم الحديث.
- الإرشاد.
- التحرير في ألفاظ التنبيه.
- العمدة في تصحيح التنبيه.
- الإيضاح في المناسك.
- الإيجاز في المناسك والمناسك الثالث، والرابع، والخامس، والسادس.
- التبيان في آداب حملة القرآن ومختصره.
- مسألة الغنيمة.
- كتاب القيام.
- كتاب الفتاوى.
- الروضة في مختصر شرح الرافعي.

- المجموع في شرح المهذب إلى باب المصراة¹.
- ومن الكتب التي ابتدأها ولم يتمها لأنه تُوفي، وهي:
- قطعة في شرح التنبيه.
- قطعة في شرح الوسيط.
- قطعة في شرح البخاري.
- قطعة يسيرة في شرح سنن أبي داود.
- قطعة في الإملاء على حديث الأعمال بالنيات.
- قطعة في الأحكام.
- قطعة كبيرة في التهذيب للأسماء واللغات.
- قطعة مُسوَّدة في طبقات الفقهاء.
- قطعة في التحقيق في الفقه إلى باب صلاة المسافرين.
- كتاب المنهاج في مختصر المحرر للرافعي وشرح ألفاظ منه، ومُسَوِّدات كثيرة².

8-1- وفاته:

توفي في ليلة الأربعاء الرابع والعشرين رجب، سنة ست وسبعين وستمائة (676هـ) بنوى ودُفِنَ بها صبيحة الليلة المذكورة، وكانت وفاته عقب واقعة جرت لبعض الصالحين

¹ - ينظر: محي الدين النووي، شرح سنن أبي داود السجستاني (وفي مقدمات تحقيقه تحفة الطالبين في ترجمة الإمام النووي)، ص 70-71.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 80-81-82-83-84-85.

بأمره لزيارة القدس الشريف، والخليل -عليه أفضل الصلاة والسلام- فامتثل الأمر، وتوفي عقبها¹.

2- الأربعون النووية:

2-1- تعريفها:

متن الأربعين النووية أو كما تسمى "الأربعين في مباني الإسلام وقواعد الأحكام"²، هو مؤلف أو كتاب يحتوي على أربعين حديثاً نبوياً شريفاً، قام بجمعها الإمام النووي، وقد بيّن سبب جمعه لها حيث قال: "من العلماء من جمع الأربعين في أصول الدين، وبعضهم في الفروع، وبعضهم في الجهاد، وبعضهم في الزهد، وبعضهم في الآداب، وبعضهم في الخطب، وكلّها مقاصد صالحة رضي الله عن قاصديها، وقد رأيت جمع أربعين أهم من هذا كلّها، وهي أربعون حديثاً مشتملة على جميع ذلك وكلّ حديث منها قاعدة عظيمة، من قواعد الدين، قد وصفه العلماء بأنّ مدار الإسلام عليه أو نصف الإسلام أو ثلثه أو نحو ذلك."³ وقد قال فضيلة الشيخ "عبد العزيز بن ابراهيم بن قاسم" عن الأربعين النووية بأنّها: "متن مشهور، اشتمل على اثنين وأربعين حديثاً محذوفة الإسناد في فنون مختلفة من العلم، حيث كل حديث منها قاعدة عظيمة من قواعد الدين وينبغي لكلّ راغب في الآخرة أن يعرف هذه الأحاديث لما اشتملت عليه من المهمّات

¹ - ينظر: محي الدين النووي، شرح سنن أبي داود السجستاني (وفي مقدمات تحقيقه تحفة الطالبين في ترجمة الإمام النووي)، ص 43.

² - عبد العزيز بن ابراهيم بن قاسم، الدليل إلى المتون العلمية، ط1، الرياض، السعودية: 1420هـ-2000م، دار الصميقي، ص 248.

³ - عمر عبد الجبار، الأربعون النووية وتتمتها، ص 3.

واحتوت عليه من التنبية على جميع الطاعات.¹ وهذا يدلّ على أنّ الأربعين النووية شاملة لجميع قواعد الدّين ولجميع مناحي الحياة اليومية.

ولقد التزم الإمام محي الدّين النووي أن تكون هذه الأحاديث صحيحة ومعظمها من صحيحي "البخاري" و"مسلم"، وذكرها محذوفة الأسانيد ليسهل حفظها ويعمّ الانتفاع بها ثم أتبعها بباب في ضبط خفيّ ألفاظها، لكن هذا الباب لا يوجد في كثير من طبقات الأربعين النووية وشرحها، وقد ذكره صاحب كتاب الوافي في شرح الأربعين النووية².

"فرغ المؤلّف من تأليفها ليلة الخميس التاسع والعشرين من جمادى الأولى سنة 668هـ"³.

2-2- سبب تسميتها بالأربعين النووية:

سُمّيت بالأربعين لأنها تحتوي على أربعين حديثاً نبوياً صحيحاً، وبالنووية نسبة إلى مؤلفها الإمام النووي.

وربّما سُمّيت بالأربعين استناداً على حديث ضعيف، الذي ورد من طرقٍ كثيرةٍ وبروايات متنوّعة أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «من حفّظ على أمّتي أربعين حديثاً في أمر دينها بعثه الله عزّ وجلّ يوم القيامة في زمرة الفقهاء»⁴.

¹ - عبد العزيز بن ابراهيم بن قاسم، الدليل إلى المتون العلمية، ص 248.

² - ينظر: عبد العزيز بن ابراهيم بن قاسم، الدليل إلى المتون العلمية، ص 248.

³ - عبد العزيز بن ابراهيم بن قاسم، الدليل إلى المتون العلمية، ص 248.

⁴ - ابن مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دط، بيروت، لبنان:

دت، دار إحياء التراث العربي، مج: 1، ص 52.

2-3- أصل المتن:

ورد في كتاب الدليل إلى المتون العلمية أنّ أصل متن الأربعين النووية هو "مجلس أملاه الحافظ أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن الصّلاح المتوفّى سنة (643هـ) سمّاه "الأحاديث الكلّية" جمع فيه الأحاديث التي يُقال إنّ مدار الدّين عليها وما كان في معناها من الكلمات الجامعة الوجيزة، بلغت 26 حديثاً ثمّ إنّ الإمام النووي أخذ هذه الأحاديث وزاد عليها تمام 42 حديثاً، وسُمّي كتابه بالأربعين، واشتهرت هذه الأربعون التي جمعها."¹

2-4- طبعات الأربعين النووية:

طُبِعَ متن الأربعين النووية عدّة مرّات منها:

"- طبعة الجامعة الإسلاميّة في المدينة المنوّرة سنة (1395هـ)، ومعها الأحاديث التي زادها الحافظ بن رجب رحمه الله.

- طبعة دار الكتب العلميّة في بيروت سنة (1401هـ)، شرح غريبها ومشكل ألفاظها وحقّقها الشّيخ رضوان محمّد رضوان.

- طبعة مؤسّسة الرّسالة في بيروت سنة (1402هـ)، ضبط ألفاظها وشرح معانيها الشّيخ محي الدّين مستو.

- طبعة دار الرّائد العربي في بيروت سنة (1404هـ) باعتناء الشّيخ عبد العزيز السّيروان.

- طبعة مؤسّسة الرّيان للطباعة والنّشر والتّوزيع في بيروت سنة (1416هـ).

¹ - عبد العزيز بن ابراهيم بن قاسم، الدليل إلى المتون العلمية، ص 248.

- مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر دون تاريخ، وعليها تقرير للشيخ هاشم بن محمد الشرقاوي.

- طبعة دار البخاري للنشر والتوزيع في القصيم، دون تاريخ.¹

2-5- شروح الأربعين النووية:

وردت شروح الأربعين النووية في كتاب الدليل إلى المتون العلمية "لابن قاسم" مرتبة حسب تاريخ وفاة الشيوخ وهي كالتالي:

"- الأربعون النووية وشرحها، تأليف صاحب المتن للإمام النووي رحمه الله تعالى.

- شرح ابن دقيق العيد للعلامة تقي الدين أبي الفتح محمد بن علي بن وهب المصري القشيري الشهير بابن دقيق العيد المتوفى سنة (702هـ).

- شرح العلامة الشيخ نجم الدين سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الحنبلي المتوفى سنة (716هـ)، واسمه التّعيين في شرح الأربعين.

- شرح العلامة الشيخ سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني المتوفى سنة (791هـ).

- شرح الحافظ ابن رجب المسمى جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تأليف الإمام الحافظ الفقيه زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن السلامي البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن رجب المتوفى سنة (795هـ)، وزاد عليها ثمانية أحاديث سردها في مقدمة شرحه المذكور، ولهذا سماه جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، وهو أجلُّ شروح الأربعين النووية وأكثرها فائدة.

¹ - المرجع نفسه، ص 249-250.

- شرح الشيخ أحمد بن حجر الهيتمي المكي المتوفى سنة (974هـ)، واسمه الفتح المبين بشرح الأربعين.
- شرح الشيخ أحمد بن حجازي الفشني المتوفى سنة (978هـ)، واسمه المجالس السنينة في الكلام على الأربعين النووية.
- شرح الشيخ أبو الفضل محمد ولي الدين بن علي سالم الشبشير المتوفى سنة (989هـ)، واسمه الجواهر البهية في شرح الأربعين النووية.
- شرح الشيخ إبراهيم بن مرعي بن عطية الشبرخيتي المتوفى سنة (1107هـ)، واسمه الفتوحات الوهية في شرح الأربعين حديثاً النووية.
- شرح الشيخ ملا علي بن سلطان بن محمد القاري الهروي المكي الحنفي المتوفى سنة (1114هـ)، واسمه المبين المعين لفهم الأربعين.
- شرح العلامة الشيخ محمد حياة السندي المتوفى سنة (1163هـ).
- حاشية الشيخ عبد الله بن محمد النبروي الشافعي المتوفى سنة (1275هـ)، اسمها عروس الأفراح.
- شرح الشيخ محمد بن عبد الله الجرداني الدمياطي الشافعي المتوفى سنة (1331هـ) طبع باسم الجواهر اللؤلؤية في شرح الأربعين النووية.
- شرح الأربعين حديثاً النووية للشيخ عبد المجيد الشرنوبي الأزهرى المالكي المتوفى سنة (1348هـ).

- الشّرح الأربعة على الأربعين النّوويّة، تأليف أربعة من فاس وهم المشايخ: أحمد بن محمّد التّاودي ابن سودة، عبد القادر بن أحمد بن شقرون، محمّد بن أحمد بنيس، الطّيب بن عبد المجيد بن كيران.

- النّزهة البهيّة في شرح أحاديث الأربعين النّوويّة للشيخ قاسم القيسي.

- شرح الشيخ عبد الله بن صالح المحسن، وشرح الأحاديث الثمانية التي زادها الحافظ بن رجب، واسمه الشرح الموجز المفيد.

- التّحفة الرّبانيّة في شرح الأربعين حديثاً النّوويّة للشيخ إسماعيل بن محمّد الأنصاري المتوفّى سنة (1317هـ).

- شرح الألفاظ الغريبة في الأربعين النّوويّة، تأليف الشيخ محي الدّين مستو.

- الوافي في شرح الأربعين النّوويّة للدكتور مصطفى البغا والشيخ محي الدّين مستو.

- المختار في شرح الأربعين النّوويّة للشيخ عبد الخالق مسعود.

- المختار من شرح الأربعين النّوويّة للشيخ محمّد أديب الحمّود.

- البيان في شرح الأربعين النّوويّة للشيخ خالد البيطار.

- قواعد وفوائد من الأربعين النّوويّة بقلم الشيخ ناظم بن محمّد سلطان.

- شرح الأربعين النّوويّة في الأحاديث الصّحيحة النّبويّة للشيخ محمّد بن عبد القادر الأرناؤوط.

- شرح الأربعين النّوويّة في ثوب جديد للشيخ عبد الوهّاب بن رشيد بن صالح أبو صفيّة.

- شرح الأربعين النّوويّة، تأليف الدكتور محمّد بكار زكريّا.

- إيضاح المعاني الخفية في الأربعين النووية للشيخ محمد تاتاي.
- من مشكاة النبوة شرح الأربعين النووية للشيخ محمد صالح فرفور.
- شرح الأربعين حديثاً النووية وملحقاته: الإشارات إلى ضبط الألفاظ المشكلات، تحقيق ودراسة الشيخ عبد العزيز عَزَّ الدِّين السَّيروان¹.

¹ - المرجع نفسه، ص 250 - 251 - 252 - 253 - 254 - 255 - 256 - 257 - 258.

المبحث الثاني: آليات الخطاب الحجاجي اللغوية والبلاغية.

سنعمد -هذا المبحث- أن نرصد أهم آليات الخطاب الحجاجي في أحاديث الأربعين النووية، إذ سندرس أهم الآليات اللغوية والبلاغية، التي وظفها المتكلم وهو الرسول -صلى الله عليه وسلم- لإقناع المستمع وهو الناس وحملهم على الإذعان وهذه الآليات تختلف من حديث إلى آخر، ومن غرض إلى غرض.

1- آليات الخطاب الحجاجي اللغوية:

تُعتبر الوسائل اللغوية من أهم آليات الخطاب الحجاجي، فاللغة هي أفضل وسيلة للتعبير والدفاع عن موقف ما أو قضية معينة عن طريق الحجج والأدلة، فهي بذلك تسهم في جعل المتكلم يصل إلى غايته المتمثلة في الإقناع، وسنحاول الكشف عن هذه الآليات اللغوية التي تجسدت في الأحاديث التي جمعها النووي، والتي ساهمت بشكل فعال في عملية الإقناع ومن هذه الوسائل ما ذكرناه في الفصل النظري:

1- التكرار:

يُعرفه "محمد خطّابي" في كتابه لسانيات النصّ بأنه: "شكل من أشكال الاتساق المعجمي، يتطلب إعادة عنصر معجمي، أو ورود مرادف له، أو شبه مرادف أو عنصراً مطلقاً، أو اسماً عاماً".¹ إذ يُعتبر من الأساليب الحجاجية التي يعتمدها المتكلم لتأكيد رأيه والدفاع عنه، حيث تكمن حجاجيته في إعادة ذكر اللفظ أو مرادفه وهذا لتأكيد المعنى وتثبيتته.

¹ - محمد خطّابي، لسانيات النصّ، ص 24.

ولقد كثر التكرار في الأربعين حديثاً النووية، ومن أمثلة ذلك ما جاء في الحديث الأول من المدونة، عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَلِكُلِّ أَمْرٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكَحُهَا فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ.»¹ رواه البخاري ومسلم.

فقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ)، المراد بالأعمال الأعمال الشرعية، إذ يُعتبر هذا الحديث أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام حيث قال "أحمد الشافعي" -رحمه الله تعالى- عنه بأنه يدخل في ثلث العلم واعتبره جماعة من العلماء أنه ثلث الإسلام، واستحبوا أن تستفتح المصنفات والكتب بهذا الحديث تنبيهاً للطالب على تصحيح النية، وممن ابتدأ به في أول كتابه الإمام أبو عبد الله البخاري.² وهذا يدل على الأهمية البالغة التي يحتويها الحديث، كونه يعالج أصل من أصول الشريعة الإسلامية، ولهذا فالرسول -صلى الله عليه وسلم- اعتمد على أسلوب التكرار الذي يُعتبر آية من الآيات اللغوية للخطاب الحجاجي، وتجلّى ذلك من خلال تكراره لكلمة الهجرة التي تكرر أربع مرّات، وهذا يدل على محاولة الرسول -صلى الله عليه وسلم- إقناع الناس بأن يتحلوا بالنية الصادقة والإخلاص الصافي في الهجرة، أي أنه يؤكد على أنّ النية شرط أساسي في ذلك بالإضافة إلى تكراره لجملة (هجرته إلى الله ورسوله)، حيث يقول: « فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ

¹ - أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، الأربعين النووية، تح: أحمد عبد الرزاق البكري، ط4، القاهرة، مصر: 1428هـ-2007م، دار السلام، ص 3.

² - ينظر: ابن دقيق العيد، شرح الأربعين حديثاً النووية، دط، مكة المكرمة، السعودية: دت، الفيصلية، ص 10-

ورَسُولِهِ» فهذا أسلوب شرط، إذ تقديره: من كانت هجرته إلى الله ورسوله نيّة وقصدًا فهجرته إلى الله ورسوله حكما وشرعًا¹.

فتكرار هذه العبارة كان لغرض التنبية أي تنبيه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على أن تكون هجرة المسلم من أجل عبادة الله وطاعة رسوله بصدق نيّة، كما يؤكّد على أجر وثواب ذلك، فهجرة المسلم إلى عبادة ربه واتباع سنة نبيه أفضل من هجرته إلى ملذّات الدّنيا وتعلّقه بها، وورد في هذا الحديث من مظاهر التعلّق بالدّنيا قوله: «دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٌ يَنْكُحُهَا» وجاء هذا الحديث بسبب قصّة الرّجل الذي هاجر من مكّة إلى المدينة ليتزوّد امرأة يُقال لها أمّ قيس، لا يريد بذلك فضيلة الهجرة فكان يُقال له: مُهاجر أمّ قيس.² وعليه فتكرار عبارة هجرته إلى الله والرّسول لم يكن اعتباطيا وإنّما ليؤكّد على قيمة عمل المسلم بالنيّة الصادقة وحصوله على الثّواب والأجر وربما لم يكرّر عبارة يهاجر إلى الدّنيا أو امرأة ينكحها لأنّ المسلم لا يُؤجر على هذه الهجرة وهذا كفيل بالتأثير على المتلقّي وإقناعه وتأكيد الحجج والأدلّة وتكرار كلمة هجرة في الحديث تكرار لفظي وليس معنوي لأنّه وُجد في لفظة الهجرة ذاته وليس في معناه، أمّا تكرار جملة (فهجرته إلى الله ورسوله) فهو تكرار في اللفظ والمعنى.

ومن شواهد التكرار أيضاً ما جاء في الحديث: عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ

¹ - ينظر: المرجع نفسه، ص 12.

² - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»¹ رواه البخاري ومسلم.

يدلّ هذا الحديث على مكارم الأخلاق التي يتّصف بها المؤمن وهي: أن يقول الخير أو يصمت، فقول الخير خير من الصمت، والصمت خير من قول الشر.² وكذا أن يكرم جاره، وهذا تعريف لحقوق الجار ويجب تأديتها قولاً وفعلاً، حيث أوصانا الله تعالى -في كتابه الكريم- بالإحسان إلى الجار بالإضافة إلى إكرام الضيف، لأنّ "الضيافة من الإسلام وخلق النبيين والصالحين".³

فقد تكررت في هذا الحديث جملة الشرط وهي (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) فوجود الشرط يستلزم وجود جوابه فجواب الشرط هنا في الحديث ورد على شكل أوامر فالجواب الأوّل (فليقل خيراً أو ليصمت) فهو أمر بقول الخير أو إذا لم يقل خيراً فيأمره الله سبحانه وتعالى بالصمت أمّا جواب الشرط الثاني (فليكرم جاره) يدلّ على أنّ الله - سبحانه وتعالى- يأمرنا بإكرام الجار، ونفس الشيء بالنسبة للجواب الثالث (فليكرم ضيفه)، فالله تعالى يدعونا ويأمرنا بإكرام الضيف، فتكرار الشرط هنا يدلّ على أنّ الرّسول -صلى الله عليه وسلّم- يؤكّد لنا ضرورة تحلّي المؤمن بهذه الصفات التي تعدّ من مكارم الأخلاق (قول الخير، إكرام الجار، إكرام الضيف) والتي هي من دعائم الإيمان، فهو يحاول أن يجلب انتباه المتلقّي وإثارة اهتمامه وذلك لإفهامه وإقناعه بتنفيذ هذه الأوامر التي أمرنا بها الله سبحانه وتعالى، وكذا الاتّصاف بها، وهذا النوع من

¹- أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، الأربعون النووية، ص 12.

²- ينظر: ابن دقيق العيد، شرح الأربعين حديثاً النووية، ص 50.

³- ابن دقيق العيد، شرح الأربعين حديثاً النووية، ص 39.

التكرار تكرار لفظي لأنه وُجد في اللفظ دون المعنى، والألفاظ المكررة هي (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر).

ومن أمثلة التكرار أيضاً، ما ورد في هذا الحديث: عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْقَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَاقِلَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بَكْتَبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا»¹ رواه البخاري ومسلم.

المقصود (بالصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ) الصَّادِقُ فِي قَوْلِهِ، الْمَصْدُوقُ فِيمَا يَأْتِيهِ مِنَ الْوَحْيِ الْكَرِيمِ.²

إذا تتبعنا معاني الحديث الشَّريف نجد معنى قوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَجْمَعُ الْإِنْسَانَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ لِمَدَّةِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا بَعْدَ أَنْ يَخْلُقَهُ مَتَفَرِّقًا إِذْ يَكُونُ عَاقِلَةً أَوْ " قِطْعَةَ الدَّمِ الَّتِي تَعْلَقُ بِالشَّيْءِ، وَهِيَ الرَّحْمُ"³، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً أَوْ

¹ - أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، الأربعين النووية، ص 6.

² - ينظر: ابن دقيق العيد، شرح الأربعين حديثاً النووية، ص 22.

³ - أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة (ومعها تنمة الحافظ ابن رجب) ط4، باب الواد، الجزائر: 1436هـ-2015م، دار الإمام مالك، ص 9.

"قطعة من اللحم"¹، وبعد ذلك يرسل إليها الملك الموكل بالرحم لينفخ فيه الروح ويكتب له رزقه، وأجله، وعمله، ويكتبه إن كان من الأشقياء أو السعداء. وقوله صلى الله عليه وسلم-: « فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ... فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا» المراد أنّ هذا قد يقع في نادر من الناس لا أنّه غالب فيهم وذلك من لطف الله سبحانه وسعة رحمته، فإنّ انقلاب الناس من الشرّ إلى الخير كثير، وأمّا انقلابهم من الخير إلى الشرّ ففي غاية النّور.²

والتكرار الحاصل في الحديث هو تكرار عبارتي (ليعمل بعمل أهل الجنة، ليعمل بعمل أهل النار)، فاعتماد الرسول صلى الله عليه وسلم- هذا الأسلوب وإطالته في الكلام لغرض إفهام المتلقّي وإقناعه بمسألة القدر الذي لا يعلمه إلاّ الله -سبحانه وتعالى- فإذا كان كلّ عمل الإنسان عملاً صحيحاً، وأنّه قُرب من الجنة بسبب عمله حتّى بقي له على دخولها ذراع، ولكن منعه القدر من دخولها فيدخل إلى النار، وكذلك من عمل بعمل قُربه من دخول النار وبقي له على دخولها ذراع لكن عمل بعمل أهل الجنة دخلها ولم يدخل النار، فالقدر ينكشف للناس إذ نالوا ثوابهم وأجرهم أو عقابهم، ولا ينكشف قبل ذلك فالرسول صلى الله عليه وسلم- يؤكّد بهذا التكرار أنّ من ينقلب من عمل الشرّ إلى عمل الخير يدخل إلى الجنة حتّى وإن كان قريباً من النار، أمّا من انقلب من فعل الخير إلى فعل الشرّ فسيُحشّر في جهنّم حتّى وإن قُرب من الجنة، إذ يحاول -عليه الصّلاة والسّلام- إقناع المتلقّي برحمة الله الواسعة ولطفه الشّديد، فكان التكرار هو الوسيلة المتّبعة في هذا الحديث لتقديم الحجّة والدّفاع عنها، وبالتالي الوصول إلى هدف الإقناع والإذعان.

¹ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

² - ينظر: ابن دقيق العيد، شرح الأربعين حديثاً النووية، ص 22.

وورد شاهد آخر عن التكرار: عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»¹ رواه مسلم.

هذا الحديث عظيم جامع لأنواع من العلوم والقواعد والآداب، وفيه فضل قضاء حوائج المسلمين، ومعنى تنفيس الكربة إزالتها، فمن ستر مسلماً ستره الله، وستر المسلم معناه ستر زلاته وأخطائه، ومعنى قوله: «والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه» هو أنّ العبد إذا عزم على معاونة أخيه فليؤمن بأنّ الله تعالى في عونه، والقصد من السكينة هي الرحمة، والطمأنينة، والوقار، ومعنى (حقّتهم الملائكة) أي الملائكة محدّقين محيطين بجوانب من طلب العلم وتلا القرآن الكريم.²

في هذا الحديث الشّريف تكرار لكلمة (كربة) أربع مرّات، بالإضافة إلى تكرار أسلوب الشرط وأداته (من) خمس مرّات، ليؤكد الرّسول -صلى الله عليه وسلم- فضل ستر المسلم لأخيه المسلم، وفضل السّعي في طلب العلم والاشتغال به، والمُرَاد بالعلم هنا هو "العلم الشرعي"³ وكذا فضل وأجر الاجتماع على تلاوة القرآن ودراسته، فكان

¹ - أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، الأربعين النووية، ص 27.

² - ينظر: ابن دقيق العيد، شرح الأربعين حديثاً النووية، ص 94-95.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 95.

التكرار هو السبيل والوسيلة التي اعتمدها - عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم - للدفاع عن حججه، وإقناع المخاطب واستمالاته، والتأثير فيه.

لقد ورد التكرار بشكل كبير في المدونة سواء كان تكرار اللفظ أو الجملة، وعليه يمكن اعتبار التكرار أنجح آلية لغوية حجاجية لتحقيق الإقناع، وذلك نظراً لأهمية الدور الحجاجي الذي يؤديه هذا الأسلوب، فهو بهذا يُعدّ أساسياً في تأكيد الحجج والبراهين التي قدّمها الرسول - صلى الله عليه وسلم - لفائدة أحاديثه والأحكام الشرعية التي جاء بها، حيث أضاف لها التكرار قوة حجاجية وطاقة تُحدث أثراً في نفوس المتلقين، فتساعد وبشكل فعّال في إقناعهم وحملهم على الإذعان، كما يساعد في إبلاغهم وإفهامهم، وبالتالي العمل بهذه الأحاديث والأوامر التي أمرنا بها الله سبحانه وتعالى، وهكذا تحصلُ غاية الخطاب الحجاجي، التي تتمثل في تقبل الموقف أو الرأي والعمل به، وترسيخ الفكرة في الذهن.

1-2- التوكيد:

هو أحد الأساليب اللغوية التي تستخدم من أجل تثبيت معنى أو أمر معين وكما تحدثنا في الفصل السابق بأنه أحد الآليات اللغوية التي يعتمد إليها المُخاطب لتأكيد رأيه أو موقفه في خطابه الحجاجي وكذا زيادة حججه وأدلته قوة للوصول إلى إقناع المتلقي، والتوكيد نوعان لفظي ومعنوي، ويتجسد التوكيد أيضاً في ضرب الخبر (الابتدائي، الطلبي والإنكاري)، وسنحاول تتبع أسلوب التوكيد الذي ورد في الأحاديث النبوية الشريفة في مدونتنا الأربعين النووية.

فمن شواهد التوكيد ما ورد في حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن أبي عبد الله النعمان بن البشير - رضي الله عنهما - قال: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ،

ومن وَقَعَ في الشُّبُهَاتِ وَقَعَ في الحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرَعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ الجَسَدَ مُضَعَّةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ»¹ رواه البخاري ومسلم.

معنى قوله: «إِنَّ الحَلَالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ» أَنَّ الأشياءَ ثلاثةَ أقسام: فما نصَّ الله على تحليله فهو الحلال، وما نصَّ الله على تحريمه فهو الحرام البين، كتحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وكلَّ ما جعل الله فيه حدًّا أو عقوبة فهو حرام، أمَّا الشُّبُهَاتُ فهي كلُّ ما تنازعه الأدلَّة من الكتاب والسنة وتتجاذبه المعاني، أمَّا الشُّبُهَاتُ فقد اختلف العلماء فيها، فقالت طائفة: هي حرام لقوله: «استَبْرَأْ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ» أي من لم يستبرأ لدينه وعرضه فقد وقع في الحرام، وقال آخرون: هي حلال بدليل قوله -صلى الله عليه وسلم- في الحديث: «كَالرَّاعِي يَرَعَى حَوْلَ الحِمَى» فيدلُّ على أنَّ ذلك حلال، وقالت طائفة أخرى: المشتبهات المذكورة في هذا الحديث لا نقول إنها حلال ولا إنها حرام فإنه -صلى الله عليه وسلم- جعلها بين الحلال البين والحرام البين وقوله -صلى الله عليه وسلم-: «لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ» أي لا يعلم حكمهنَّ من التَّحْلِيلِ والتَّحْرِيمِ وقوله: «كَالرَّاعِي يَرَعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ» هذا مثل ضربه لمحارم الله عزَّ وجلَّ ومعنى «أَلَا وَإِنَّ في الجَسَدِ مُضَعَّةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ» هو صغر جرمها وعظيم قدرها.²

والشَّاهد على أسلوب التَّوكِيدِ في هذا الحديث هو «إِنَّ الحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ» فيمكن اعتبار هذا الخبر خبر

¹ - أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، الأربعون النووية، ص 7.

² - ينظر: ابن دقيق العيد، شرح الأربعين حديثا النووية، ص 27-29-30.

إنكاري كونه مُؤكّد بمؤكّدين هما: (إِنَّ) التي تفيد التّوكيد وكذلك نون التّوكيد الثّقيلة في الفعل المضارع (لا يعلمهنّ)، وكذلك لفظة (كلّه) في قوله: «صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، فَسُدَّ الْجَسَدُ كُلُّهُ» ونوعه توكيد معنويّ، فالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - استخدم أسلوب التّوكيد في خطابه لتأكيد المعنى وإثباته للمتلقّي، ومن خلال الحديث تأكّيده وإثباته لِمَا أحلّه الله تعالى وحرّمه.

ومن أمثلة التّوكيد ما جاء في هذا الحديث: عن أبي يعلى شَدَاد بن أوس رضي الله عنه أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ وَلِيُحَدِّدْ أَحَدَكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلِيُجِرْ ذَبِيحَتَهُ»¹ رواه مسلم.

معنى قوله: «أَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ» أي ابحثوا عن أحسن طريق للذّبح، وقوله: «أَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ» يشمل قتل من يستحقّ القتل من بني آدم أو من الحيوانات. ومعنى (إحسان القتل): أن يجتهد في ذلك ولا يقصد التعذيب²، أسلوب التّوكيد في هذا الحديث يظهر من خلال قوله: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ» فتمثّل في الخبر الطّلب المؤكّد بأداة التّأكيد (إِنَّ)، إذ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يؤكّد للمتلقّي أنّ الله سبحانه وتعالى أوجب الإحسان في كلّ شيء حتى في ذبح البهائم وقتل من يستحقّ القتل من بني آدم، فهذا الأسلوب يساعد في تقوية معنى خطابه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وإثباته للمتلقّي وإزالة كلّ الشّكوك التي قد تتبادر في ذهنه.

¹ - أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، الأربعون النووية، ص 13.

² - ينظر: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، الأربعون النووية في الأحاديث الصحيحة (ومعها تنمة الحافظ ابن رجب)، ص 22.

ولقد ورد التوكيد أيضاً في الحديث، الذي رواه الترميذي عن أبي العباس عبد الله بن عباس رضي الله عنه- قال: كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم- يوماً فقال: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف»¹.

يدعونا الرسول صلى الله عليه وسلم- في هذا الحديث إلى طاعة الله والالتزام إلى أوامره، والانتهاز عن نواهيه، والعمل بالطاعة وعدم مخالفتها، فإننا نجده اتجاهاً في الشدائد والتوكل عليه ولا نتخذ إلاهاً سواه، ولا نتعلق بغيره في جميع أمورنا وعلينا أن نتيقن أنه لن يصيبنا إلا ما كتبه الله لنا سواء نفعاً أو ضرراً.²

لقد وظّف الرسول صلى الله عليه وسلم- في هذا الحديث أسلوب التوكيد ويظهر ذلك في قوله: «اعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك» فهنا يؤكد لنا أن ما يصيبنا في حياتنا ما هو إلا تسطير من عند رب العالمين، فهو يؤكد ضرورة الإيمان بالقضاء والقدر، والإيمان به واجب خيره وشره، وقد اعتمد في هذا على الأداة (أن) التي تفيد التوكيد، وبهذا يكون هذا الأسلوب اللغوي قد ساهم وبشكل كبير في إقناع المتلقي بضرورة الاستعانة بالله سبحانه وتعالى في كل أموره، والعمل بأوامره والابتعاد عن نواهيه وطاعته والتوكل عليه وإيمانه بالقدر

¹- أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، الأربعون النووية، ص 14.

²- ينظر: ابن دقيق العيد، شرح الأربعين حديثاً النووية، ص 55.

وبالتالي فإنّ هذا الأسلوب ساعد المتكلّم (الرّسول صلّى الله عليه وسلّم) في الوصول إلى غايته الخطابية الحجاجية التي تتمثّل في الإقناع والإذعان.

وورد أيضا التّوكيد في الحديث التالي: عن أبي ثعلبة الخشني جرثوم بن ناشر رضي الله عنه - عن رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرِ نَسْيَانٍ فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا»¹ رواه الدّارقطني وغيره.

معنى قوله عليه الصّلاة والسّلام: «وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ» أي "لم يفرضها ولم يُحرّمها."² فالشّاهد في هذا المثال هو قوله: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا.» فهنا أكّد الرّسول صلّى الله عليه وسلّم - للنّاس خطابه المتمثّل في أنّ الله سبحانه وتعالى أوجب وأكرم عليهم فرائض لا بدّ منهم أن لا يتركوها، ولا يتهاونوا بالقيام بها وذلك بأداة التّوكيد (إِنَّ).

وما يُمكننا قوله عن أسلوب التّوكيد أنّه ورد بشكل كبير في أحاديث الأربعين النووية، كونه يساهم في تأكيد المعنى في الخطاب الحجاجي، إذ استعان به صلّى الله عليه وسلّم - في تقوية كلامه في نفوس المتلقّين، إذ له فائدة حجاجية في توكيد الحجج وتحقيقتها وتحصيل الإقناع بها.

1-2-3- اسم الفاعل:

¹ - أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، الأربعون النووية، ص 23.

² - أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، الأربعون النووية في الأحاديث الصحيحة (ومعها تنمة الحافظ ابن رجب) ص

تعتبر صيغة اسم الفاعل آية لغوية من آيات الخطاب الحجاجي التي يعمد إليها المتكلم لتقوية حججه وتأكيدهما، وذلك لإقناع مستمعه بموقفه أو بقضيته، ولقد اعتمد الرسول -صلى الله عليه وسلم- على هذه الصيغة في أحاديثه الموجهة إلى الصحابة-رضي الله عنهم- وجميع المؤمنين من عامة الناس، إذ وردت بكثرة وسنحاول أن نرصدها ونتتبعها في كل حديث من أحاديث مدونتنا.

من أمثلة اسم الفاعل في الأربعين حديثاً النوويّة ما يلي:

- «كالرّاعي يرعى حَوْلَ الحِمَى»¹ الشاهد فيه هو لفظة (الرّاعي) وهو اسم فاعل من الفعل الثلاثي رَعَى.

- عن أبي مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا بِأَخَذِي ثَلَاثٍ: الثَّيْبُ الرَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»² رواه البخاري ومسلم.

يخاطب الرسول -صلى الله عليه وسلم- المؤمنين عن حرمة دم المسلم ومتى تهدر إذ يجب إقامة الحدّ على الرّاني المتزوّج برجمه حتّى الموت، وقتل قاتل النفس بغير حقّ، وقتل المرتدّ عن دينه، ولقد اشتمل الحديث على أربع كلمات من صيغة اسم الفاعل وهي: (الرّاني) من الفعل الثلاثي زنى، و(التّارك) من الفعل الثلاثي ترك و(المفارق) من الفعل الرباعي فارق.

¹ - المرجع نفسه، ص 7.

² - المرجع نفسه، ص 12.

- عن أبي ذر الغفاري - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما يرويه عن ربه عز وجل، أنه قال: «يا عبّادي! كُلكم ضالٌّ إلا من هديتُه، فاستهدوني أهدكم. يا عبّادي! كُلكم عارٍ إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم»¹ رواه مسلم.

الشاهد في الحديث هو: (جائِعُ)، اسم فاعل للفعل الثلاثي جاع، و(عارٍ) اسم فاعل للفعل الثلاثي عَرِيَ، و(ضالٌّ) اسم فاعل للفعل الثلاثي ضلَّ.

- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «مَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»² رواه مسلم.

الشاهد هنا هو: (مُعْسِرٌ)، وهو اسم فاعل للفعل عَسَرَ.

- عن ابن عمر - رضي الله عنه - قال: أخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمنكبِي، فقال: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»³ رواه البخاري.

الشاهد هو (عَابِرٌ) وهو اسم فاعل للفعل الثلاثي عَبَرَ.

عمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في خطابه إلى توظيف صيغة اسم الفاعل بكثرة، وذلك لتضفي على كلامه قوّة إذ تكمن حجاجيّتها في هذه القوّة كونها تساعد على تأكيد الأمر، واستعملها ليصدر الأحكام التي يصل بها المتلقّي إلى نتائج من خطابه، وهذا ما يفسح المجال لقابليّة تأثره وإذعانه وتقبّله لأفكاره - صلى الله عليه وسلم - وبالتالي حصول الغاية، وهي العمل بالقول الحجاجي.

¹ - المرجع نفسه، ص 17.

² - المرجع نفسه، ص 27.

³ - المرجع نفسه، ص 30.

1-2-4- الصفة المشبهة:

تُعتبر الصفة المشبهة كذلك آليّة لغويّة كغيرها من الصيغ الأخرى (اسم الفاعل صيغ المبالغة) وقد وردت بشكل جليّ وظاهر في المدوّنة، وفي أكثر من حديث وسنرصد ذلك:

- «يُؤمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكُتَبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ»¹ وقد ورد في هذا الحديث لفظتين من صيغة الصفة المشبهة، وكلاهما على وزن واحد وهو (فعليل) وهما: شقيّ، وسعيد.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ! يَا رَبِّ! وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟»² رواه مسلم.

هذا الحديث أحد الأحاديث التي بُنيت عليها قواعد الإسلام ومباني الأحكام، فبه الحثّ على الإنفاق من الحلال، والنهي عن الإنفاق من غيره، وأنّ المشروب، والمأكل والملبوس وغيرها ينبغي أن يكون حلالاً خالصاً، وأنّ من أراد الدّعاء كان أولى بالاعتناء بذلك من غيره الذي يكون أكله ومشربه حرام لا يستجاب له الدّعاء.³

¹ - المرجع نفسه، ص 6.

² - المرجع نفسه، ص 10.

³ - ينظر: ابن دقيق العيد، شرح الأربعين حديثاً النووية، ص 41.

والشاهد في هذا الحديث الشريف هو لفظة (طَيِّب)، وهي صفة مشبَّهة على وزن (فَعِيل)، وطَيِّب هي صفة من صفات الله بمعنى "المُنزَّه عن النَّقائص"¹.

- عن معاذ بن جبل رضي الله عنه - قال: قلت يا رسول الله! أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار، قال: «لَقَدْ سَأَلْتُ عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيْسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ: تَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمِ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ»² رواه الترمذي.

يقصد الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من قوله: «لَقَدْ سَأَلْتُ عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيْسِيرٌ» على من يسره الله عليه، أي على من وقفه الله له، ثم أرشده لعبادته مخلصا له الدَّين، يعبد الله ولا يُشْرِكْ به شَيْئًا، إذ ذكر شرائع الإسلام في الحديث من صلاة وزكاة وصوم، وحج.³

والمثال الوارد في هذا الحديث عن الصِّفة المشبَّهة هو كلمتي (عظيم ويسير) وهما على وزن (فَعِيل).

- «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»⁴ والشاهد فيه هو كلمة (غريب) وهي صفة مشبَّهة وردت على وزن (فَعِيل).

من خلال رصدنا للصِّفة المشبَّهة الواردة في خطاب الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من خلال أحاديثه في الأربعين النووية وجدنا أنَّ جُلَّها جاءت على وزن (فَعِيل)

¹ - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

² - أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، الأربعون النووية، ص 22.

³ - ينظر: ابن دقيق العيد، شرح الأربعين حديثا النووية، ص 77-78.

⁴ - أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، الأربعون النووية، ص 30.

أي أنّ الرسول عليه أفضل الصّلاة والسّلام اعتمد على هذا الوزن فقط دون الأوزان الأخرى، وهذا ما يجعل خطابه يميّز عن الخطابات الحجاجيّة الأخرى، فتارة يذكر صفات الله (طيّب)، وتارة صفات الإنسان (شقيّ، سعيد، غريب)، وتارة يذكر صفات للأشياء والأمور (عظيم، يسير)، وهكذا كان للصّفة المشبّهة دور حجاجي كبير في تقوية كلامه -صلى الله عليه وسلّم- وزيادته طاقة حجاجيّة، وهذا ما يُسهّم في اقتناع المتلقّي وتقبّله لما عُرض عليه.

2- آليات الخطاب الحجاجي البلاغيّة:

كما سبق وأن تطرّقنا في الفصل الأوّل إلى أنّ البلاغة آليّة من آليات الحجاج وذلك كونها تعتمد على استمالة المتلقّي، وتوجيهه، والتأثير فيه لكي يتقبّل الرّأي والموقف الذي يطرحه المحاجج فتُعَدُّ بذلك ذات وظيفة إقناعيّة، وتعتبر البلاغة وجهاً من أوجه الحجاج إذ أنّها متّصلة به وأينما وجد الحجاج وجدت البلاغة والعكس وتعتبر تلك الصّور البيانيّة والأساليب الفنيّة الجماليّة آليات يعتمد المتكلّم إلى توظيفها وذلك لتنظيم حججه وإثباتها لجعل المتلقّي يدرك خطابهُ، وذلك عن طريق التّأويل.

ومن آليات الخطاب الحجاجي البلاغيّة التي وظّفها رسول الله -صلى الله عليه وسلّم- في أحاديثه في الأربعينيّات النّويّة ما يلي:

2-1- الصّور البيانيّة:

2-1-1- الاستعارة:

تُعتبر الاستعارة أهمّ وسيلة من الوسائل البلاغيّة التي يستخدمها المخاطب في خطابه لبناء حججه من أجل إقناع مخاطبه والتأثير فيه. وتكمن حجاجيّة الاستعارة كونها تقوم على التّقريب بين موضوعين، فهي تقوم بتجسيد الشّيء المعنوي في شيء

مادّي أو في صورة مادّيّة، وهذا ما يساعد المتلقّي على الفهم، ويمكن المتكلّم من التأثير في المستمع، فهي تؤثر فيه بجانبها الجمالي الفنّي، وبجانبها العقلي والفكري وبالتالي حصول الإقناع والتقبّل لفعل الخطاب.

لقد وردت الاستعارة في نصوص الأحاديث في المدوّنة بتباين سواء في الشّكل أو في الغاية، وذلك بحسب مقاصد خطاب الرسول -صلى الله عليه وسلّم- ففي الحديث الذي رواه الترميذي وأبو داود عن أبي نجيح العريّاض بن سارية -رضي الله عنه- قال: وعظنا رسول الله -صلى الله عليه وسلّم- موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله! كأنّها موعظة مودّع فأوصنا. قال: «أوصيكم بتقوى الله عزّ وجلّ، والسّمع والطّاعة وإن تأمر عليكم عبّد حبشيّ، فإنّه من يعش منكم فسيريّ اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الرّاشدين المهديّين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنّ كلّ بدعة ضلالة»¹.

يدعو رسول الله -صلى الله عليه وسلّم- الصحابة من خلال الحديث إلى الطّاعة والتزام السنّة، ويحتمل أنّ النّبّي -صلى الله عليه وسلّم- أخبر بفساد الأمر ووضعه في غير أهله، إذ يأمرنا بالسّمع والطّاعة لأولياء الأمور حتّى وإن وُضعت الولاية في يدّ العبيد، وفي من لا تجوز ولايته فيأمرنا بالصّبر على ذلك حتّى لا تحدث الفتنة، وكما أخبر أصحابه بما سيكون بعده من الاختلافات، وغلبة المنكر وقد كان عالماً بها على التّفصيل، وهذه إحدى معجزاته، كما يدعوهم بالتّمسك بسنّته وسنّة الخلفاء من بعده.²

¹ - المرجع نفسه، ص 21.

² - ينظر: ابن دقيق العيد، شرح الأربعين حديثاً النووية، ص 74-75.

مثال الاستعارة في الحديث هو قوله: «عَضُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ». والمقصود بالنَّوَاجِذِ هو "آخر الأضراس"¹، فهنا الرّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يدعونا إلى التَّمَسُّكِ بسنّته وسنّة الخلفاء الرّاشدين والتّشَبُّثِ بها، كأن نعضّها بأسناننا وأنيابنا بقوة ولا نتركها، فهنا شبّه الرّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - (السّنّة) بالشّيء المادّي الذي يعضّ إذ حذف المشبّه به، وهي ذلك الشّيء المادّي الذي يعضّ بالأسنان وأبقى لازمة من لوازمه تدلّ عليه وهي فعل (عضوا) وذلك على سبيل الاستعارة المكنيّة، أمّا غرضها فكان لتقوية المعنى وزيادته جمالاً ورونقاً، إذ وظّفها الرّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لبناء حجّته المتمثّلة في الطّاعة والالتزام بالسّنّة والدّفاع عنها، فكانت وظيفتها الحجاجيّة إفهام وإقناع المتلقّي (الصّحابة وجميع المؤمنين) وإيصال التّصوّر لهم كما هو في ذهن المتكلّم (الرّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وبالتالي حملهم على الإذعان من خلال جماليّتها وعمق معناها.

ومن ذلك ما رواه الترميذي عن معاذ بن جبل -رضي الله عنه- قال: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرُوءُهُ سِنَامُهُ الجِهَادُ»².

الشّاهد الاستعاري في الحديث هو قوله: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ» إذ شبّه الرّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الإسلام بالشّيء الذي يعلو، إذ حذفه وهو المشبّه به وأبقى لازمة من لوازمه تدلّ عليه وهو الرّأس، الذي فيه دلالة على علو الشّأن وذلك على سبيل الاستعارة المكنيّة. الأمر جُعِلَ كالفعل من الإبل³ فالحيوان لا يستطيع أن يعيش

¹ - ابن دقيق العيد، شرح الأربعين حديثاً النووية، ص 76.

² - أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، الأربعون النووية، ص 22.

³ - ينظر: ابن دقيق العيد، شرح الأربعين حديثاً النووية، ص 68.

دون رأس، فكذاك الإنسان كان رأس الإسلام إذ لا يستطيع بناء حياته دون أركان الإسلام ومبادئه، وإلا عاش في جهل وضلالة، فالرّسول -صلى الله عليه وسلّم- أراد أن يشير إلى عظمة الإسلام، وسموّ مكانته، وعلوّ شأنه، فشبّهه بالرّأس لأنّ الرّأس يمثّل الجزء العلويّ والشّريف من الجسم كلّه. فالمتلقّي لحديثه -صلى الله عليه وسلّم- يفهم من خلال هذه الصّورة أنّ الإسلام هو أعلى شأن، إذ يعلو بالإنسان إلى كلّ ما هو طيّب وحميد، فتوظيف الرّسول -صلى الله عليه وسلّم- للاستعارة ليُقنع المتلقّي سواء كان الصّحابة في زمانه أو النّاس جميعاً من بعده بالمكانة العالية للإسلام فجسّده في صورة مادّيّة ليُقرب لهم الفهم، ولكي يستطيعوا تصوّر ذلك، وهذا ما يزيد من قوّة حججه ليحصل على ما يهدف إليه من خطابه.

ومن الاستعارة أيضاً ما ورد في قوله -صلى الله عليه وسلّم-: «وَعَشِيَّتُهُمُ الرَّحْمَةُ»¹ رواه مسلم. المقصود (بِعَشِيَّتُهُمُ الرَّحْمَةُ) بمعنى غطّتهم وشملتهم، والعشيّ في الشّيء شمل المغشيّ من جميع أجزائه².

شبّه الرّسول -صلى الله عليه وسلّم- الرّحمة بالغطاء إذ حذف المشبّه به وهو (الغطاء) وأبقى لازمة من لوازمه تدلّ عليه وهي الفعل الماضي (عَشِيَّتُهُم) وذلك على سبيل الاستعارة المكنيّة.

عمد الرّسول -صلى الله عليه وسلّم- على توظيف الاستعارة في خطابه لإبراز المعنى للمتلقّي والكشف عنه، وذلك بتجسيد الرّحمة التي هي شيء معنويّ في صورة مادّيّة لإفهامه والتأثير فيه، فكانت الاستعارة هنا هي السبيل الذي لجأ إليه المرسل

¹ - أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، الأربعين النووية، ص 27.

² - ينظر: ابن دقيق العيد، شرح الأربعين حديثاً النووية، ص 90.

(الرّسول صلّى الله عليه وسلّم) لإقناع المرسل إليه، وهذا ما أضفى على الخطاب قوّة حاجيّة فاعلة.

لقد كان للاستعارة أهميّة كبيرة في خطابه صلّى الله عليه وسلّم - الحجاجي وكان لها فضل في إبراز المعاني والكشف عنها، إلى جانب دورها البلاغي والجمالي إذ وظّفها الرّسول صلّى الله عليه وسلّم - في نصّ الحديث لتقوية المعنى وزيادة التأثير في المتلقّي، وذلك من خلال تجسيد وتصوير الأشياء من شكلها الحسي في شكل مادّي يساعد على الفهم والتأويل، فتقترن بذلك وظيفتها الجماليّة بوظيفتها الإقناعيّة، وهذا ما يزيد في الفعل في المتلقّي، وعليه يمكن القول أنّ الاستعارة هي آليّة بلاغيّة حاجيّة بامتياز.

2-1-2- التشبيه:

التشبيه هو الآخر كغيره من الصّور البيانيّة الأخرى، يُعتبر آليّة بلاغيّة يعتمد عليها المحاجج في خطابه، وذلك لما له من أثر عظيم في التعبير عن المعاني ونقل الأفكار من ذهن المتكلّم إلى ذهن السّامع عن طريق الصّور والأخيلة وهذا ما يمكّن المتكلّم من بلوغ هدفه الخطابّي، ولقد ورد بكثرة في أحاديث كتاب الأربعين النّويّة وبشكل ظاهر.

من أمثلة ذلك ما ورد في الحديث الثّاني من المدوّنة والذي رواه مسلم عن عمر رضي الله عنه - قال: « بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَيَّ رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَيَّ فَخَذَيْهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبَرَنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ

الله، وتُقيم الصلاة، وتُؤتي الزكاة، وتُصوم رمضان، وتُحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً» قال: صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدقُه. قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» قال: فأخبرني عن الساعة. قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل» قال: فأخبرني عن أمارتها. قال: «أن تلد الأمة ربتها وترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان» ثم انطلق فلبثت ملياً، ثم قال: «يا عمر، أتدري من السائل؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»¹.

هذا حديث عظيم لأنه قد اشتمل على جميع وظائف الأعمال الظاهرة والباطنة فعلوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه لما تضمنه لعلوم السنة، ويحتوي دليل على تحسين الثياب والهيئة والنظافة عند الدخول على العلماء والملوك، فإن جبريل أتى معلماً للناس بحاله ومقاله إذ يدور معنى الحديث حول مراتب الدين: الإسلام والإيمان والإحسان إذ ذكر صلى الله عليه وسلم - ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله تعالى وإتقان العبادات ومراعاة حقوق الله تعالى واستحضار عظمته وجلالته حال العبادات².

الشاهد في الحديث هو قوله عن الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه»³ إذ شبه الرسول صلى الله عليه وسلم - في هذا الحديث الإحسان بالشيء الذي يرى موظفاً بذلك أداة التشبيه (كأن) فالمشبه هو الإحسان، أما المشبه به فهو ذلك الشيء المادي الذي يرى بالعين المجردة، ووجه الشبه محذوف، ونوع التشبيه هو تشبيه مجمل، كونه

¹ - أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، الأربعون النووية، ص 4-5.

² - ينظر: ابن دقيق العيد، شرح الأربعين حديثاً النووية، ص 14-16-17.

³ - أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، الأربعون النووية، ص 4.

اشتمل على جميع أركان التشبيه ما عدا وجه الشبه محذوف، فالرسول صلى الله عليه وسلم - استعان بالتشبيه ليكشف عن شيء مجهول لدى المتلقي، وهذا الشيء هو (الإحسان) إذ جسده في صورة معلومة، أي أنه نقل السامع من تلك الصورة المعنوية الغامضة إلى صورة مادية، وذلك عبر المشبه به، والمقصود برؤية الله هنا ليس تلك الرؤية المادية التي تكون بالعين المجردة، وإنما رؤية معنوية تكون بالعقل والقلب وذلك عن طريق طاعته والإخلاص في عبادته، ولقد كانت (كأن) هي أداة التشبيه المناسبة لتأدية هذه الوظيفة، فقد أحسن صلى الله عليه وسلم - في اختيار الأداة، ولقد ساهم هذا النوع من التشبيه في التأثير على المتلقي وتوصيل المعنى في أحسن صورة، وهذا ما يؤدي إلى تحقيق الغاية والغرض من الخطاب الحجاجي المجسد في الحديث.

من أمثلة التشبيه أيضا، ما ورد في قوله صلى الله عليه وسلم -: «مَنْ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرَعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ»¹ رواه البخاري ومسلم.

الرسول صلى الله عليه وسلم - شبه الإنسان الذي يقع في المحرمات كالراعي الذي يرعى حول الحمى، وهذا في الأصل مثل ضربه الرسول صلى الله عليه وسلم - لمحارم الله عز وجل، وأصله أن العرب كانت تحمي مراعي لمواشيها ويخرج بالتوعد بالعقوبة لمن قربها، فالخائف من عقوبة السلطان يبعد ماشيته عن ذلك الحمى، لأنه إن قرب منه يقع فيه لذلك لا بد أن يحذر ويجعل بينه وبين ذلك الحمى مسافة يأمن فيها وقوعه.² وهكذا هي محارم الله عز وجل لا بد من الابتعاد عنها، ولا ينبغي الحوم حولها إذ قدم الرسول صلى الله عليه وسلم - صورة تمثيلية على مصير من يقع في

¹ - أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، الأربعون النووية، ص 7.

² - ينظر: ابن دقيق العيد، شرح الأربعين حديثا النووية، ص 30.

الحرام الذي حرّمه الله عزّ وجلّ، ويمكن أن نقول على هذا النوع من التشبيه أنّه تشبيه تمثيلي، كون الرسول -صلى الله عليه وسلم- شبيه لنا صورة من يقع في الحرام بصورة الرّاعي الذي يرفع حول الحمى عند العرب قديماً، فالرسول ينبّه السّامع على عدم الاقتراب من المحرّمات، فكان إيراد هذا النوع من التشبيه في هذا الموضع مناسباً لأداء هذا المعنى، وهذا ما أضاف مسحة بلاغية مفعمة بطاقة حجاجية، وهذا ما يؤدّي إلى بلوغ الغاية التي ترمي إلى إفهام الفكرة وتقبّلها، وبالتالي العمل بها.

ورد التشبيه أيضاً في قوله -صلى الله عليه وسلم- «الصّلاة نُورٌ، والصدقة بُرّهانٌ، والصّبرُ ضياءٌ، والقُرآنُ حُجَّةٌ لَكَ أو عَلَيْكَ»¹ رواه مسلم.

هذا الحديث أصل من أصول الإسلام، ولقد اشتمل على مهمّات من قواعد الإسلام والدين، وهي الطّهارة والإيمان، والصّلاة، والصدقة، والصّبر وتلاوة القرآن².

لقد احتوى الحديث على ثلاثة شواهد للتشبيه هي:

- (الصّلاة نُورٌ) شبه الرسول -صلى الله عليه وسلم- الصلاة بالنور كونها تهدي الإنسان إلى الطّريق الصّحيح وتنهاه عن الفواحش فالمشبه هو الصّلاة، والمشبه به هو النور، ولقد حُذفت الأداة ووجه الشبه على سبيل التشبيه البليغ.

- (الصدقة بُرّهانٌ) شبه الرسول -صلى الله عليه وسلم- الصدقة بالبرهان لأنّ المسلم عندما يتصدّق في حياته تكون تلك الصدقات برهان على أعماله، فالمشبه هو الصدقة، والمشبه به هو برهان، وكذلك حذفت الأداة ووجه الشبه، فهو بذلك تشبيه بليغ.

¹- أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، الأربعون النووية، ص 17.

²- ينظر: ابن دقيق العيد، شرح الأربعين حديثاً النووية، ص 61.

- (الصَّبْرُ ضِيَاءٌ) شَبَّهَ الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الصَّبْرَ بِالضِّيَاءِ لِأَنَّهَا بِالصَّبْرِ نَتَغَلَّبُ عَلَى الْمَصَائِبِ وَالْمَحَنِّ حَتَّى يَأْتِينَا الْفَرْجُ الَّذِي هُوَ بِمِثَابَةِ ضَوْءٍ يَنْيرُ لَنَا حَيَاتِنَا فَالْمِشَبَّهُ هُوَ الصَّبْرُ، وَالْمِشَبَّهَ بِهِ هُوَ الضِّيَاءُ، وَالْأَدَاةُ وَوَجْهَ الشَّبْهِ مَحذُوفَانِ كَوْنَهُ تَشْبِيهِ بَلِيغٌ.

الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ خِلَالِ خِطَابِهِ عَمِدَ إِلَى هَذَا النَّوعِ مِنَ التَّشْبِيهِ لِيَقْنَعَ السَّمَاعَ بِضُرُورَةِ تَطْبِيقِ الْقَوَاعِدِ وَالْأَصُولِ الشَّرْعِيَّةِ مِنْ صَلَاةٍ وَصَبْرٍ وَصَدَقَةٍ، فَكَانَ التَّشْبِيهِ الْبَلِيغِ الْآلِيَّةِ الْمُنَاسِبَةِ الَّتِي تَعَزَّزَ حُجْجُهُ وَتَوَكَّدَهَا، إِذْ صَوَّرَ الصَّلَاةَ وَالصَّبْرَ فِي النُّورِ وَالضِّيَاءِ، إِذْ بِهِمَا تَتَكَشَّفُ الْأَشْيَاءُ فِي حَيَاتِنَا، فَكَانَتْ الْأَلْفَاظُ أَوْ الْمِشَبَّهَاتُ بِهِ مُنْتَقَاةً بِعِنَايَةٍ، وَهَذَا مَا يَزِيدُ فِي حَاجِيَّةِ خِطَابِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهَذَا مَا يُؤَدِّي إِلَى سُرْعَةِ التَّأثيرِ فِي الْمُتَلَقِّي وَإِقْنَاعِهِ.

وَكَمَا وَرَدَ أَيْضاً شَاهِداً لِلتَّشْبِيهِ فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الصَّوْمُ جُنَّةٌ وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ»¹.

الشَّاهِدُ هُوَ «الصَّوْمُ جُنَّةٌ» وَهُوَ تَشْبِيهِ بَلِيغٌ إِذْ يَشَبَّهُ الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الصَّوْمَ بِالْجُنَّةِ، وَهَذَا دَلَالَةٌ عَلَى فَضْلِ الصَّوْمِ، وَبِالصَّوْمِ يَدْخُلُ الْإِنْسَانُ لِلْجُنَّةِ إِذْ صَوَّرَ الصَّوْمَ بِالْجُنَّةِ، وَتَشْبِيهِ بَلِيغٌ كَوْنَهُ حُذِفَتِ الْأَدَاةُ وَوَجْهَ الشَّبْهِ وَبَقِيَ الْمِشَبَّهَ (الصَّوْمُ) وَالْمِشَبَّهَ بِهِ (الْجُنَّة).

وَكذَلِكَ قَوْلُهُ: «عَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَدَرْوُهُ سِنَامِهِ الْجِهَادُ»²

¹ - أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، الأربعون النووية، ص

² - المرجع نفسه، ص 22.

فالرّسول -صلى الله عليه وسلّم- شبه الصّلاة بالعمود، وهنا أراد أن يبيّن لنا أنّ أمر الصّلاة مهمّ، وأنها أساس قويّ ومتمين تُبنى عليه الحياة بمختلف مناحيها، إذ لا تستقيم الأشياء إلّا بها، كعمود بناء البيوت، بحيث لا يمكن الاستغناء عنها، وتاركها يؤدّي إلى الكفر وبدونها تنهار قيمة الإنسان كمسلم، وذلك على سبيل التّشبيه البليغ ويمكن غرضه في هذا الموضع إبراز وتعظيم لأمر الصّلاة، فهنا أراد الرّسول -صلى الله عليه وسلّم- أن يُقنع السّامع بأنّ الإسلام يقوم على الصّلاة، إذ تُعتبر عموده الذي يبنى عليه وركيزته الأساسيّة.

«ذَرُوءُ سِنَامِهِ الْجِهَادُ» ذروة السّنام هو أعلى ظهر البعير¹، شبه الجهاد بأعلى ظهر البعير، وهذا دلالة على علوّه، لأنّ المسلمين بالجهاد يعلنون على أعدائهم الكفّار ونوع التّشبيه هو تشبيه بليغ، فالرّسول -صلى الله عليه وسلّم- أراد أن يُقنع مستمعيه بالدرجة العليا والشّريفة للمجاهد في سبيل الله، فمن حاز شرف الجهاد قد حاز الشّرف بأكمله وترفّع عن كثير من السّفاسف المتدلّية في القاع، والغرض المبتوث في هذا السّياق هو التّعظيم والترغيب.

من خلال رصدنا للتّشبيه في خطاب الرّسول -صلى الله عليه وسلّم- ومن خلال دراستنا لهذه الآليّة الحجاجيّة البلاغيّة، لاحظنا أنّ جلّ الخطاب النّبوي قد اشتمل التّشبيه البليغ وأنواع أخرى، كالتّشبيه التّمثيلي، والمجمل، وذلك لما له من دور حجاجي كبير لإقناع المتلقّي واستمالته، ناهيك عن دوره الجمالي الذي يزيد المعنى قوّة ورونقاً.

- ينظر: المرجع نفسه، 1.78.

2-1-3- الكناية:

الكناية هي الأخرى تعدّ من أبرز الآليات البلاغية التي من خلالها يصل المتلقّي إلى فهم الخطاب فيقتنع به، وبالتالي تتحقّق غايته الحجاجية كونها تكشف له جوانب من الغموض، ربّما لا تتكشف إلّا بها، فهي تعتبر وسيلة من وسائل الإبداع لتأكيد المعنى والاحتجاج له.

من شواهد الكناية في المدوّنة ما روي عن أبي العباس عبد الله بن العباس - رضي الله عنه - قال: كنت خلف النّبّي -صلى الله عليه وسلّم- يوماً فقال: «يا غلام! إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أنّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلّا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلّا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»¹ رواه الترميذي.

تتموضع الكناية في الحديث في قوله: «رفعت الأقلام وجفت الصحف» فهذه كناية على "تقدّم كتابة المقادير كلّها"²، فالرسول -صلى الله عليه وسلّم- يؤكّد لمن يتلقّى خطابه أنّه لا يكون تبديل أو تغيير أو حذف للقدر، فمادام الله سبحانه وتعالى سطر لنا أقدارنا فلا بدّ لنا أن نرضى بما قسمه لنا أي أنّه يؤكّد على ضرورة الإيمان بالقدر خيره وشره.

وما يمكن قوله أنّه للكناية دور حجاجي بارز في تأكيد القول وتشبيته.

¹- أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، الأربعون النووية، ص 14.

²- أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، الأربعون النووية في الأحاديث الصحيحة (ومعها تنمة الحافظ ابن رجب) ص 25.

2-1-4- الإيجاز:

يعتبر الإيجاز وسيلة تأثير واستمالة يعمد إليها المتكلم للدفاع عن رأيه أو قضيته، فالكلام الوجيز يجعل المستمع يركّز وينتبه وهذا ما يحقق اقتناعه، ولقد ورد في الحديث النبوي أمثلة على الإيجاز مثلما ورد في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم - قال: «الدين النصيحة»¹.

هذا الحديث جامع إذ جمع أحكاما كثيرة، فالمقصود بالنصيحة هي إرادة الخير لكل من الله، وذلك بالإيمان به ونفي الشرك عنه وطاعته واجتناب معصيته والإخلاص له في جميع الأمور، ولكتابه وذلك بالإيمان بكلامه وبأن تنزيهه لا يشبه شيء من كلام الناس وتعظيمه، وتلاوته حق تلاوة، أما النصيحة لرسوله صلى الله عليه وسلم - تكون بالتصديق برسالته، والإيمان بجميع ما جاء به، وطاعته في أمره ونهيه ونصرته وإجابة دعوته، وإحياء طريقه، وأتباع سنته، والنصيحة لأئمة المسلمين بمعاونتهم على الحق وطاعتهم، وأمرهم به وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه، أما نصيحة عامة المسلمين يكون ذلك بإرشادهم لمصالحهم في آخرتهم وديارهم وإعانتهم عليها وستر عوراتهم، ودفع المضار عنهم.²

فالرسول صلى الله عليه وسلم - أوجز كلامه فأبدع في إبلاغ متلقي الحديث وبالتالي إقناعه، فربما لو اعتمد أسلوب الإطناب في إبلاغ فكرته في هذا الموضوع لما بلغها، لأن ورود الإيجاز في خطابه هذا أنسب وأبلغ.

¹ - أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، الأربعين النووية، ص 8.

² - ينظر: ابن دقيق العيد، شرح الأربعين حديثا النووية، ص 33-34.

وكما ورد الإيجاز أيضًا في الحديث الذي رواه ابن ماجه والدارقطني عن أبي سعيد سعد بن مالك بن ببيان الخدري رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم- قال: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»¹.

المقصود بالضّرر والضّرار كالقتل والقتال، فالضّرر أن تضرّ من لا يضرّك والضّرار أن تضرّ من أضرّ بك، من غير جهة الاعتداء بالمثل والانتصار بالحق². فالرسول صلى الله عليه وسلم- يخاطب مستمعيه ويؤكد على أنه ليس لأحد أن يضرّ بأخيه ولا يظلمه حتّى وإن ضرّه، فأوجز الكلام واستعمل لفظتين فقط ليدلّ على هذا المعنى، فيكون بذلك حجة كافية ودليلاً قاطعاً لتحريم الظلم، وهذا يسهل على المستمع خاصّة والمتلقّي عامّة على الفهم والاعتناع.

2-2-1- الطّباق:

لقد كان للطّباق نصيب في أحاديث المدوّنة، إذ ورد بشكل كبير وذلك لما له من دور حجاجي في توضيح المعنى وإفهامه للمتلقّي، وسنورد بعض الشّواهد فقط دون الأخرى، وذلك لتواجدها بكثرة في هذه الأحاديث:

- الحديث الثّاني: (شديد بياض الثّياب، شديد سواد الشّعر) الطّباق حاصل بين كلمتي سواد وبياض.

- الحديث الرّابع: (شقيّ وسعيد).

- الحديث السّادس: (الحلال والحرام، اتقى ووقع، صلح وفسد).

¹- أبو زكريّا يحيى بن شرف النّووي، الأربعون النّووية، ص 24.

²- يُنظر: ابن دقيق العيد، شرح الأربعين حديثاً النّووية، ص 83.

- الحديث التاسع: (نهيتكم وأمرتكم، اجتنبوه وأتوا).
 - الحديث الخامس عشر: (فليقل وفليصمت).
 - الحديث التاسع عشر: (ينفعوك ويضروك، لك وعليك، أخطأك ويصيبك، الفرج والكرب، العسر واليسر).
 - الحديث الثالث والعشرون: (السماء والأرض، لك وعليك، معتقها وموبقها).
 - الحديث الرابع والعشرون: (ضالّ وهديته، جائع وأطعمته، عارٍ وكسوته، ضُرِّي ونفعي، الليل والنّهار، تضرّوني وتنفعوني، أولكم وآخركم، إنسكم وجنّكم، زاد ونقص).
- من خلال تتبّعنا لمدى ورود الطّباق في الحديث النّبوي الشّريف في الأربعين النّويّة، لاحظنا كثرة استعمال النّبيّ -صلى الله عليه وسلّم- لهذه الآليّة البلاغيّة وذلك لأهمّيّتها في العمليّة الحجائيّة، إذ أنّها تعمل على تفسير المعنى وإكماله وزيادته وضوحًا، لأنّ بالأضداد تتّضح المعاني، وهذا ما يؤدّي إلى إيصال الفكرة للمتلقّي وإقناعه بها.

المبحث الثالث: الجانب التداولي للحجاج في الأربعين النووية.

بعد تناولنا للآليات اللغوية والبلاغية المتجسدة في خطاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من خلال أحاديثه التي جمعها الإمام محي الدين النووي، سنركز في هذا المبحث على دراسة خطابه في ضوء التداولية التي تعدّ من الدراسات الحديثة محاولين بذلك الكشف عن المُحاجة التداولية في الحديث فاخترنا نماذجًا للتحليل وذلك تجنبًا للإطالة والتكرار، كون أن بعض الأحاديث متشابهة من حيث بنيتها وسنتطرق إلى دراسة: الأفعال الكلامية، الروابط الحجاجية، وكذا السلال الحجاجية.

1- الأفعال الكلامية:

تعتبر الأفعال الكلامية أهمّ نظرية في الحقل التداولي قام بتأسيسها العالم اللغوي "أوستين"، كما تُعدُّ أبرز آلية تداولية في الخطاب الحجاجي، وسندرس في هذا الجزء الأفعال الكلامية الواردة في خطابه -صلى الله عليه وسلم- من خلال الأربعين النووية ونصنّفها حسب التقسيم الذي جاء به "أوستين": الأفعال الحكمية، الأفعال التمرسية أفعال التكليف الأفعال العرضية، وأفعال السلوكيات.

1-1- الأفعال الحكمية:

والتي تكلمنا عنها في الفصل السابق بأنها تكون عبارة عن حكم، أمر أو إصدار قرار، بمعنى هي إصدار الأحكام، ولقد وردت هذه الأفعال في الأحاديث النووية بنسبة كبيرة، ومن أمثلة ذلك:

- عن عمر رضي الله عنه - قال: «بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدٌ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدٌ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مَنَّا أَحَدٌ...، يَا عُمَرُ! أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟»¹.

لقد ورد في هذا الحديث أفعال تدلّ على الفعل الكلامي الحكمي، ومن هذه الأفعال هي أفعال الأمر، إذ تكرر فعل الأمر (أخبرني) أربع مرّات، وكما ورد الأسلوب الإنشائي في آخر الحديث، وهو قوله: «يَا عُمَرُ! أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟». جاء على صيغة الاستفهام، ويمكن اعتبار صفات جبريل -عليه السلام- (رجلٌ شديدٌ بيّاض الثياب، شديدٌ سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر) تندرج ضمن الأفعال الحكمية.

فبفضل ورود الأفعال الحكمية في هذا الحديث، اتّسم خطابه -صلى الله عليه وسلم- بفعالية كبيرة، وبتسلسل في كلامه وتوالٍ في أحداثه، وهذا ما يجعل المستمع يتقبّل الأمر ويستوعبه في ذهنه ثم يأخذ به.

- قال -صلى الله عليه وسلم-: «وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكِتَابِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ»².

تجلى الفعل الكلامي الحكمي في دلالة الأمر، إذ أراد الرسول -صلى الله عليه وسلم- أن يُقنع المتلقّي بضرورة الإيمان بالقضاء والقدر، وأنّ الإنسان منذ أن خلقه الله ويكون في بطن أمّه، يرسل إليه ملكًا يأمره بأن ينفخ فيه الروح، ويأمره أيضًا بكتابة رزقه وأجله وعمله، وكيف يعيش في حياته.

¹ - أبو زكريّا يحيى بن شرف النووي، الأربعون النووية، ص 4.

² - المرجع نفسه، ص 6.

- عن أمّ المؤمنين، أمّ عبد الله عائشة -رضي الله عنها-، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم-: «مَنْ أَحَدَّثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»¹.

يُعتبر هذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الدين، يُستدلّ به على إبطال جميع العقود الممنوعة، وعدم وجود ثمراتها، ومعنى الرّدّ عند اللّغويين بمعنى مردود أي إبطال غير معتدّ به.²

فالفعل الكلامي يظهر في هذا الحديث من خلال بيان الرّسول -صلى الله عليه وسلم- حكم من عمل عملاً غير صالحٍ وباطل الذي حكمه هو الرّدّ وعدم قبوله.

ومن الشواهد أيضاً عن الأفعال الحكميّة ما يلي:

- قال الرّسول -صلى الله عليه وسلم-: «أَمَرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ»³.

تجسّد الفعل الكلامي من خلال الفعل (أَمَرْتُ) أي أنّ الله -سبحانه وتعالى- أمرنا بالشهادتين، وإقامة الصّلاة، وإيتاء الزّكاة، فهذا عبارة عن فعل كلامي حُكمي جاء على صيغة الأمر.

- قال عليه الصّلاة والسّلام: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»⁴.

¹ - المرجع نفسه، ص 7.

² - يُنظر: ابن دقيق العيد، شرح الأربعون حديثاً النوويّة، ص 25.

³ - أبو زكريّا بن شرف النووي، الأربعون النوويّة، ص 8-9.

⁴ - المرجع نفسه، ص 9.

- «فَلْيُقَلِّ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ... فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ... فَلْيُكْرِمْ صَيْفَهُ»¹.

- «لَا تَعْصَبْ، لَا تَعْصَبْ»².

- «فَإِذَا قَاتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا دَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ، وَلْيُحَدِّ أَحَدُكُمْ شِفْرَتَهُ، وَلْيُرِخْ دَبِيحَتَهُ»³.

- عن أبي ذرّ جندب بن جُنادة وأبي عبد الرَّحمان مُعاذ بن جبل -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»⁴ رواه الترميذي.

معنى الحديث هو أنّ الرسول -صلى الله عليه وسلم- يأمرنا بأن نعامل الناس بما نحبّ أن يعاملونا به، وأن نعلم بأنّ أثقل ما يوضع في الميزان هو الخلق الحسن.⁵ وتجسّدت الأفعال الحكميّة من خلال هذه الأوامر، ودلّ على ذلك الأفعال التّالية: اتّق، اتّبِع، خالِق.

لاحظنا من خلال دراسة ورود الأفعال الحكميّة في الأربعين النووية، أنّ جلّ هذه الأفعال جاءت على صيغة الأمر، وهذا يدلّ على أنّ الرسول -صلى الله عليه وسلم- يأمر الصّحابة والتّابعين من بعده بالامتثال لما يدعوهم له، ويقنعهم بأن يأخذوا بأحكامه، وقد ساهمت هذه الأفعال بإقامة الحجّة في كلامه وإثباتها.

¹ - المرجع نفسه، ص 12.

² - المرجع نفسه، ص 13.

³ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ - المرجع نفسه، ص 14.

⁵ - ابن دقيق العيد، شرح الأربعين حديثاً النوويّة، ص 53.

1-2- أفعال التّكليف (الوعدية):

وتظهر من خلال استعمال المتكلم لأفعال تلزمه كوعد، تمنى، أقسم وغيرها.
ومن شواهد الوعديات ما يلي:

- «فَوَاللّٰهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا»¹.

فالرسول -صلى الله عليه وسلم- يعدّ الذين يعملون شراً وبالرغم من قربهم دخول الجنة ولكن بعملهم هذا يدخلون النار، وكذا الذين يعملون بعمل أهل الجنة ويكونون بالقرب من النار يدخلون الجنة، موظفاً بذلك القسم الذي يدلّ على أفعال الوعد والتكليف.

- «فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَيَّ اللَّهُ»².

فالرسول -صلى الله عليه وسلم- يعدّ من يأخذ بناصيته ويمتثل لدينه بأن يعصم من القتل وينال الأجر والثواب من عند الله.

- عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول -صلى الله عليه وسلم- - إن الله قال: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا

¹ - أبو زكريا بن شرف النووي، الأربعون النووية، ص 6.

² - المرجع نفسه، ص 9-10.

افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَلَئِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَتْهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ»¹ رواه البخاري.

قَدَّمَ اللهُ -سبحانه تعالى- إنذار إلى كلِّ من عادى وليًّا، أي قد آذنه بأنَّه مُحاربه بنفس المعادة، ووليُّ الله هو الَّذي يتبع ما شرَّعه الله تعالى، فحذَّر الإنسان من إيذاء النَّاس الَّذين يخشون الله ويتَّبعون ملة نبيِّه. لقد تضمَّن هذا الحديث معنى الوعد فالله -سبحانه وتعالى- يحذِّر النَّاس الَّذين يُعادون أولياء الله ويتوعَّدهم بمحاربتهم.

- عن أنس رضي الله عنه- قال سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: قال الله تبارك وتعالى: «يا ابن آدم! إنَّك ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لك ولا أبالي، يا ابن آدم! لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرتُ لك ولا أبالي، يا ابن آدم! إنَّك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»² رواه الترميذي.

في هذا الحديث بشارة عظيمة، وحلم وكرم عظيم، وما لا يُحصى من أنواع الفضل والإحسان والرَّأفة والرَّحمة والامتنان، أي أن الله يعِدُّ عباده الَّذين يستغفرونه بالمغفرة ولو كانت ذنوبهم مثل زبد البحر³.

¹ - المرجع نفسه، ص 29.

² - المرجع نفسه، ص 31.

³ - ابن دقيق العيد، شرح الأربعين حديثاً النوويَّة، ص 101.

لقد تمثّلت الأفعال التّكليفية أو الوعدية في وعد الله سبحانه وتعالى ورسوله للعباد بالعقاب الشّدِيد في حال عصيانه، ويعدّهم بالمغفرة والثّواب في حال طاعته والامتثال لأوامره.

1-3- أفعال السّلوكيّات أو الإخباريات:

وتتجسّد هذه الأفعال من خلال ردود الأفعال أو التّعبير عن سلوك، وتدلّ عليها الأفعال من قبيل: اعتذر، هيأ، رحّب، وغيرها، ولقد وردت هذه الأفعال في المدوّنة في حديثين للرّسول صلّى الله عليه وسلّم- إذ وردت في الحديث الثّاني لفظة تعبّر عن سلوكه وهي (صَدَقْتُ) إذ تدلّ هذه الكلمة على سلوك الصّدق الذي يتحلّى به الرّسول عليه أفضل الصّلاة والسّلام.

وكذلك ما ورد في سند الحديث الرّابع، "عن أبي عبد الرّحمان عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه- قال: حدّثنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم- وَهُوَ الصّادِقُ المصدوق"¹.

الصّدق صفة يتّصف بها الرّسول صلّى الله عليه وسلّم- فهو صادق مع المتلقّي، فالأفعال الكلامية السّلوكية تدلّ على سلوك المتكلّم اتجاه المتلقّي، وعليه فقد تجسّد هذا النوع من الأفعال الكلامية لتبيين سلوك الرّسول صلّى الله عليه وسلّم- اتجاه صحابته والتّابعين، وهذا ما يزيد في نسبة اقتناعهم وتقبّلهم لخطابه وأوامره وبالتالي العمل بها.

¹ - أبو زكريّا بن شرف النّووي، الأربعون النّووية، ص 6.

1-4- الأفعال التمرسية (الإنفاذية):

وتدلّ عليها ألفاظ من قبيل: انتخاب، تعيين استشارة، كما تدلّ عليها أيضًا أفعال كعين، صرح، أمر، نهى، ولقد وردت بكثرة في المدونة ومن أمثلة ذلك:

- «يُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكُتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَمْ سَعِيدٍ»¹ هذا الحديث فيه دلالة على الأمر، ويدلّ عليه الفعل (يُؤْمَرُ)، والأمر يندرج ضمن الأفعال التمرسية.

- «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ»².

- «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»³ الفعل الكلامي في هذا الحديث فعل تَمَرَسَ يدلّ عليه الفعل (نهيتكم)، والفعل (أمرتكم).

- «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ»⁴ في هذا الشاهد يدلّ على الفعل التمرسي الفعل (أمر).

- عن أبي هريرة رضي الله عنه- أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم- أوصني، قال: «لا تَغْضَبْ فَرَدَّدَ مِرَارًا قَالَ: لا تَغْضَبْ»⁵ ينهانا الرسول صلى الله عليه وسلم- عن الغضب، فهذا فعل كلامي تمرسي دلّت عليه صيغة النهي.

¹ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

² - المرجع نفسه، ص 9.

³ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ - المرجع نفسه، ص 10.

⁵ - المرجع نفسه، ص 13.

ومن شواهد الأفعال التمرسية التي دلت عليها أفعال الأمر في الأحاديث ما

يلي:

- «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»¹.

- «احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظُكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تَجَاهَكَ، فَاسْأَلِ اللَّهَ، فَاسْتَعِنِ بِاللَّهِ»².

- «قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ»³.

- «لَا تَطَّالَمُوا، فَاسْتَهْدُونِي، فَاسْتَطْعِمُونِي، فَاسْتَكْسُونِي، فَاسْتَغْفِرُونِي»⁴.

- «تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ

الْبَيْتَ»⁵.

- «إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا

تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرِ نِسْيَانٍ فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا»⁶.

لقد وردت الأفعال التمرسية بنسبة كبيرة في الأربعين النووية، وأغلبها وردت على

صيغة الأمر، وهي تحمل في طياتها بُعدًا حجاجيًا تداوليًا يؤدي إلى إقناع المتلقي

والتأثير فيه.

¹ - المرجع نفسه، ص 14.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ - المرجع نفسه، ص 16.

⁴ - المرجع نفسه، ص 18-19.

⁵ - المرجع نفسه، ص 22.

⁶ - المرجع نفسه، ص 23.

1-5- الأفعال العرضية (التعبيرية):

وفيها عرض لمفاهيم وإثباتات وتدلّ عليها أفعال من قبيل: أكّد، أجاب، أنكر وصف، ولقد سجّلنا حضورها في الأحاديث النبوية بنسبة كبيرة حتى أنّها وردت في كلّ حديث أكثر من مرّة، هذه الأفعال دلّت عليها أساليب التأكيد والإثبات.

ومن شواهد الأفعال العرضية في خطاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما

يلي:

- «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ»¹.
- «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْفُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ مَا يَكُنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا»².
- «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»³.
- «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»⁴.

¹ - المرجع نفسه، ص 5.

² - المرجع نفسه، ص 6.

³ - المرجع نفسه، ص 15.

⁴ - المرجع نفسه، ص 15.

- «إِتِي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرْيَ فَتَضُرُّونِي»¹.

- «إِنَّ بَكْلَ تَسْبِيحَةِ صَدَقَةٍ، وَكُلِّ تَكْبِيرَةِ صَدَقَةٍ، وَكُلِّ تَحْمِيدَةِ صَدَقَةٍ، وَكُلِّ تَهْلِيلَةِ صَدَقَةٍ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ»².

لقد عمد الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى توظيف الأفعال العرضية التي كانت جلها عبارة عن تأكيدات وإثباتات، واستعان بها لتبرير ما يدعو إليه للفت انتباه المتلقي وإقناعه بفحوى الرسالة وإبلاغه إيّاها.

وفي الأخير ما يمكننا قوله في دور الأفعال الكلامية في تحقيق غاية الخطاب الحجاجية، أنها أعطت للخطاب النبوي قوة حجاجية وتماسكاً شديداً، وكانت أكثر إقناعاً وتأثيراً في المتلقي، وذلك كونها تحمل في طياتها بعداً حجاجياً تداولياً يؤدي إلى الإبلاغ والإفهام، فالرسول -صلى الله عليه وسلم- كان غرضه من توظيفه لهذه الأفعال هو تبليغ رسالته في أيسر السبل للمتلقي، لتحقيق الفائدة الحجاجية المتمثلة في العمل بالفعل موضوع الخطاب الحجاجي.

2- الروابط الحجاجية:

هي عبارة عن عناصر وأدوات لغوية تربط بين حجّتين، أو بين الحجّة والنتيجة كأن نقول مثلاً: هذا الكتاب مفيدٌ إذن سأشتريه، (هذا الكتاب مفيدٌ) هي عبارة عن حجّة، (سأشتريه) هي نتيجة، و(إذن) هي رابط لغوي ربط بين الحجّة والنتيجة

¹ - المرجع نفسه، ص 17.

² - المرجع نفسه، ص 19.

وسنرصد أهمّ الروابط الحجاجية التي وردت في الأربعين النووية ودلالاتها في إبلاغ الرسول -صلى الله عليه وسلم- رسالته وإقناع المتلقي بها.

ومن الروابط الحجاجية الأكثر استعمالاً في الأربعين النووية ما يلي:

- الرّابط "إلى": تفيد (إلى) انتهاء الغاية الزّمانية أو المكانية وقد وردت في أحاديث عديدة منها قوله -صلى الله عليه وسلم-: «فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ»¹. تُوظّف (إلى) لعدّة أغراض مقصودة من قبل المُحاجج وقد أدّت في هذا الموضوع معنى الغاية المكانية والزّمانية وانتهائها، كما ساهمت بشكل أو بآخر في تحقيق التماسك بين الحجج من خلال الرّبط وخلق العلاقات اللّغوية بين العبارات في الحديث النبوي الشريف.

- الرّابط "عن": تُفيد (عن) المجاوزة، ولقد وردت بكثرة في الأحاديث الأخيرة منها قوله -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنَّسْيَانَ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ»². فالرّابط (عن) في الحديث ساهم في بناء الحجّة، إذ ربط بين عبارة (إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي)، وعبارة (الخطأ والنسيان)، وقد يُستخدم هذا الرّابط ليؤدّي معاني عدّة وعلى رأسها تجاوز المعنى المتضمّن للكلام إلى معنى آخر مُغاير حتّى يتحقّق الفهم القويم، والإدراك السليم لدى المتلقي.

- الرّابط "على": ورد هذا الرّابط في الكثير من الأحاديث النبوية، و(على) حرفٌ يفيد الاستعلاء، ومثالٌ عن هذا الرّابط ما ورد في قوله -صلى الله عليه وسلم-: «لَوْ يُعْطَى

¹ - المرجع نفسه، ص 3.

² - المرجع نفسه، ص 30.

النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لَادَّعَى رِجَالٌ أَمْوَالِ قَوْمٍ وِدِمَاءَهُمْ، وَلَكِنَّ الْبَيِّنَةَ عَلَى الْمُدَّعِي، وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ»¹ رواه البيهقي وغيره.

تكرّر الرّابطة الحجاجي (على) مرّتين في هذا الحديث وكما استعمل في أحاديث أخرى وفي مواضع متباينة، وبشكل مكثّف نوعاً ما، وهذا لا شكّ للقيام بوظائف متعدّدة ومتنوّعة، أي أنّ دلالاته ووظيفته تختلف من حديث لآخر، ومعناه يتغيّر على حسب موضعه في السّياق، ولقد أفاد كثيراً في بناء الحجج وربطها وهذا ما خلق اتّساقاً وانسجاماً بينها.

- الرّابط "إنّ": إنّ تعيد التّأكيد، ولقد وردت بكثرة في خطاب الرّسول -صلى الله عليه وسلم- واستعملها كونها تعيد التّأكيد والإثبات، ولاحظنا حضور قويّ لهذا الرّابط المؤكّد للمعاني في مواطن عدّة، ومن أمثلة ذلك قوله -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا»² لقد ساهمت (إنّ) في هذا الحديث على تأكيد الحجّة التي طرحها الرّسول -صلى الله عليه وسلم- في ذهن المتلقّي ليتقبّل الفكرة ويعمل بها، فضلا عن ذلك فهي حرف مشبّه بالفعل وتوظيفها يكون سنداً لمحتوى المعنى المطروق أو المقصود، فالمرسل إذا أراد إقناع القارئ والمتلقّي بفكرة ليحتضنها عليه بالتوكيد.

- الرّابط "في": تعيد (في) الطّرفيّة الزّمنيّة أو المكانيّة، ولقد وردت في أكثر من حديث كقوله -صلى الله عليه وسلم-: «مَنْ أَحَدَّثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»³

¹ - المرجع نفسه، ص 25.

² - المرجع نفسه، ص 6.

³ - المرجع نفسه، ص 7.

ساهم هذا الرّابط الحجاجي في الرّبط بين العبارتين في الحديث، فلمّا يُوظّف هذا الحرف في الإنتاجات الكتابيّة، أو يُلمح في النّصوص المختلفة يتبادر فوراً إلى الذّهن أنّ الغاية التي يُراد لها أن تُبلّغ هي الطّرفيّة الزّمنيّة أو المكانيّة، لما لهذا الرّابط من أهميّة في الرّبط والجمع بين العبارات والجمل وال فقرات المتضمّنة للخطاب الحجاجي وهذا ما يزيد في اتّساق وانسجام الحجج وترابطها لتؤدّي مهمّتها التي هي الإقناع والإفحام.

- الرّابط "الكاف": يفيد هذا الرّابط معنى التّشبيه والمقارنة، ولقد ورد في قوله صلّى الله عليه وسلّم: «من وقّع في الشّبّهات كالرّاعي يرعى حَوْلَ الحمى»¹.

عمد الرّسول صلّى الله عليه وسلّم - إلى توظيف هذا الرّابط للرّبط بين الحجّة الأولى (من وقع في الشّبّهات)، والحجّة الثّانية (الرّاعي يرعى حول الحمى)، وهذا لتوصيل الفكرة للمتلقّي في أحسن صورة وبالذّليل المادّي، ويوظّف هذا الرّابط اللّغوي في مختلف الشّواهد والمواطن لغرض التّشبيه والمقارنة، وهذا ما يساهم بطريقة معبّرة في تحقيق حجاجيّة الخطاب والتّبليغ المؤدّي من طرف المُحاجج.

- الرّابط "الفاء": يفيد هذا الرّابط العطف والاستئناف، وهو من أكثر الرّوابط استعمالاً في الأربعين النّوويّة وذلك لما له من وظيفة حجاجيّة قويّة كونها تُسهّم في بناء الحجج والرّبط بينها وتأدية أهداف الحجاج وأغراضه المتمثّلة في الإقناع والتّأثير، ومن شواهد ذلك ما ورد في الحديث الثّاني في قوله صلّى الله عليه وسلّم: «مَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»² فالفاء في هذا الحديث ربط

¹ - المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

² - المرجع نفسه، ص 3.

بين الحجّة (من كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها) وبين النّتيجة (هجرته إلى ما هاجر إليه)، فالرّسول صلّى الله عليه وسلّم - قام ببناء خطابه على العلاقة القائمة بين الحجّة والنّتيجة، وهذا ما يؤدّي إلى إفهام المتلقّي وإبلاغه بالفكرة وبنّيّتها، وهذا يجعله يركّز على ما يُقال له.

- الرّابط "الواو": يفيد هذا الرّابط العطف والترتيب، وقد سجّل حضوراً قوياً في خطاب الرّسول صلّى الله عليه وسلّم - ووظيفته الحجاجيّة ترتب الحجج والوصل بينها وتقويتها، وهذا ما ورد في قوله صلّى الله عليه وسلّم -: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ، وَلِئِدَّ أَحَدَكُمْ شَفْرَتَهُ وَلِيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»¹ فالواو في هذا الحديث أدّى وظيفة حجاجيّة تمثّلت في تنسيق الكلام وترابطه وهذا ما يؤدّي إلى تقوية نتيجة الحجّة وهي إثبات وتأكيد سنّة النّبّي عليه الصّلاة والسّلام.

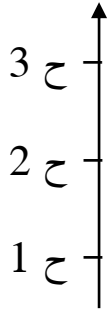
من خلال دراستنا لنماذج عن الرّوابط الحجاجيّة في الأربعين النّويّة، نستنتج أنّ كلّ هذه الأدوات اللّغويّة سواءً كانت حروف للعطف أو للجرّ أو للتأكيد وغيرها هي بمثابة روابط حجاجيّة ذات بعد تداولي ساهمت بشكل كبير في الرّبط بين حجج الخطاب النّبوي وتقويتها، وذلك بغضّ النظر عن وظائفها النّحويّة والدّلاليّة، إذ كان لها الفضل في اتّساق الكلام اتّساقاً منطقيّاً وانسجامه، ولقد كان للمتكلّم (الرّسول صلّى الله عليه وسلّم) حسن في انتقاء هذه الرّوابط وتوظيفها في موضعها المناسب، وهذا ما يؤدّي إلى تماسك الخطاب وتأديته لوظيفته وتحقيقه لغرضه الخطابي الذي هو إقناع المتكلّم بفحوى الرّسالة والتأثير فيه، وهذا ما يقوده إلى العمل بما ينصّه هذا الخطاب.

¹ - المرجع نفسه، ص 13.

3- السّلام الحجّاجيّة:

يُعتبر السّلم الحجّاجي آليّة تداوليّة من آليات الخطاب الحجّاجي إذ يسمح بترتيب الحجج من الحجّة الأقوى إلى الحجّة الأضعف وهذا التّرتيب يكون بصفة عموديّة إذ تربط بين هذه الحجج علاقة التّرتيبية، إذ يرمز للحجّة (ح) والنتيجة (ن)، ويكون شكل السّلم الحجّاجي كالآتي:

ن: (النتيجة)



وعليه فقد وردت المُحاجة بالسّلام الحجّاجيّة في الخطاب الحجّاجي في المدوّنة -الأربعين النوويّة- وذلك كون خطاب الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- مبني على حجج وأدلة وظّفها لتأكيد سنّته وإثباتها، وسنحاول تجسيد تلك الحجج في شكل سلام حجّاجيّة، انطلاقاً من دراسة بعض النّماذج من أحاديث المدوّنة.

ففي الحديث الثّامن وردت الحجج مرتّبة من الحجّة القويّة إلى الحجّة الأقلّ قوّة

وهذه الحجج هي:

- «يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ»¹.
 أما النتيجة في الحديث هي: «عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ
 وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»².

ويُشكّل السّلم الحجاجي كالآتي:

ن: عُصِمُوا مِنْ قِتَالِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.-

ح3: الشّهادتين أن لا إله إلا الله وأنّ محمّداً رسول الله.

ح2: إقامة الصلاة.

ح1: إيتاء الزّكاة.

يتضمّن هذا السّلم الحجاجي ترتيب الحجج التي وظّفها الرسول -صلى الله عليه وسلم- في حديثه ترتيباً تصاعدياً من الحجّة الأقلّ إقناعاً إلى الحجّة القويّة الأكثر إقناعاً، إذ تُعتبر الشّهادتين هي الحجّة القويّة كونها الأصل والأساس في دخول الإسلام، إذ تُعتبر الرّكيزة الأساسيّة والرّكن الأول من أركان الإسلام، تليها حجّة إقامة الصلاة، من حيث درجة القوّة كون الصلاة هي عمود الدّين وجوهره ومفروضة على كلّ مسلم ومسلمة بعد الدّخول في الإسلام، ثمّ تأتي حجّة إيتاء الزّكاة التي تعتبر أقلّ قوّة لأنّه ليس كلّ مسلم قادر على تطبيق هذا الرّكن، وعليه فهذا التّرتيب للحجج ترتيباً منطقيّاً يسهّل على المتلقّي الإقتناع، وبالتالي الوصول إلى نتيجة الخطاب المتمثّلة في المنع من قتال الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

¹ - المرجع نفسه، ص 9.

² - المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

ورد في الحديث الرابع والثلاثون ثلاث حجج مرتّبة بحسب درجة التفاوت من الأقوى إلى الأقلّ قوّة وهي:

- «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ»¹.

ويتمثّل السّلم الحجاجي كما يلي:

ن: تغيير المنكر.

ح3: تغيير المنكر باليد.

ح2: تغيير المنكر باللّسان.

ح1: تغيير المنكر بالقلب.

الحُجج الدّالة على تغيير المنكر رتّبت ترتيباً تصاعديّاً، ورسمت سلّمًا حجاجيًّا أُدرجت فيه الحجج إذ وُضعت الحجّة الأقلّ إقناعًا (تغيير المنكر بالقلب) في الدّرجة السّفلى من السّلم، ثمّ تلتها الحجّة المقنعة في الدّرجة الّتي بعدها (تغيير المنكر باللّسان)، وبعد ذلك وُضعت الحجّة الأقوى من حيث الإقناع وهي (تغيير المنكر باليد) وكلّ هذه الحجج تهدف إلى الوصول إلى نتيجة واحدة وهي (تغيير المنكر).

سنّ الرّسول -صلى الله عليه وسلّم- في خطابه هذا أنّ لتغيير المنكر ثلاث طرق، يختلف مستواه على حسب قدرة الشّخص المُلقاة على عاتقه والمُناط به تغيير المنكر.

ومن نماذج السّلم الحجاجي أيضًا ما شكّلته الحجج الواردة في الحديث الثّاني والأربعين: «يا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا

¹ - المرجع نفسه، ص 25-26.

ابن آدم! لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرتُ لك ولا أبالي، يا ابن آدم! إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»¹
 وإذا جئنا إلى ترتيب هذه الحجج على شكل سلم حجاجي يكون كالتالي:

ن: الحصول على مغفرة الله - سبحانه وتعالى -.

ح3: إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة.

ح2: لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرتُ لك ولا أبالي.

ح1: إنك ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لك ما كان فيك ولا أبالي.

فمن خلال هذا الحديث أراد الرسول -صلى الله عليه وسلم- أن يقنع المسلمين بسعة مغفرة الله عز وجل، ورحمته الواسعة على عباده حتى وإن بلغت ذنوب عبد من عباده أعداداً لا تُحصى، إذ عمد الرسول -صلى الله عليه وسلم- في حديثه هذا إلى سرد حججه وبناءها على أساس تدريجي متفاوت من حيث القوة الحجاجية، فعرض الحجة الأقل وهي (إنك ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لك على ما كان فيك)، تليها الحجة الثانية وهي (لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرتُ لك ولا أبالي) أما الحجة الأقوى من حيث الإقناع هي (لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة)، فكل هذه الحجج التي وظفها الرسول -صلى الله عليه وسلم- لإقناع المتلقي والتأثير فيه تُؤدِّي إلى نتيجة واحدة، ألا وهي الحصول على مغفرة الله عز وجل.

¹ - المرجع نفسه، ص 31.

من خلال عرضنا لبعض النماذج عن السلم الحجاجي والمتضمنة لترتيب الحجج ترتيباً تصاعدياً، يمكن القول أنّ السلم الحجاجي يُساهم هو الآخر في تغيير موقف، أو بناء رأي جديد، أو تدعيم لقضية معينة، فهو من الآليات التداولية التي تضمن نجاح الخطاب الحجاجي وتوليد الاقتناع لدى المرسل إليه للوصول إلى غاية هذا الخطاب.

الخاتمة

الخاتمة

سيبقى الخطاب الحجاجي في الأحاديث النبوية مرآة عاكسة لجلِّ الحقائق والوقائع المتضمنة للوحي السماوي، والمستجلية للمخبوءات المعجزة بين ثناياها وستظلُّ السُّنة قائمةً وصالحةً لكلِّ زمانٍ ومكانٍ وما الاكتشافات العلمية الحديثة إلا دليلاً بليغاً واضحاً على قوة جذوتها ونقاء منهلها، وقد توصلنا من خلال دراستنا لهذا الموضوع -الخطاب الحجاجي في الحديث النبوي الشريف الأربعون النووية- أنموذجاً دراسة تداولية- إلى عدَّة نتائج ماثورة بين طياتها والتي نُجملها كالآتي:

- اختلفت معاني الخطاب في التراث العربي والتراث الغربي، إذ دلَّ هذا المصطلح على الكلام في المعاجم العربيَّة، أمَّا في التراث الغربي قبل أن يدلَّ على كلِّ ما هو ملفوظ كان معناه بعيداً كلَّ البعد عن الحقل اللغوي إذ كان معناه الجري هنا وهناك ثمَّ أصبح يدلُّ على الطِّريق المحفوف بالشكوك.

- لقد ورد الخطاب في القرآن الكريم بمعاني مختلفة إذ دلَّ على الكلام، الحجاج وعلى الجدل.

- ارتبط المفهوم اللغوي العربي للنص بمعنى الظهور والارتفاع، في حين ارتبط مفهوم النص (Le texte) عند الغربيين بمعنى التسيج، أي اعتبر النص نسيجاً من الكلمات المترابطة مع بعضها البعض.

- بعض الدارسين العرب قد ربطوا مصطلح النص بمصطلح الكلام، وهذا يظهر من خلال تعريف "محمد مفتاح" للنص، الذي اعتبره مدونة حدث كلامي، ذي وظائف متعدّدة.

- يختلف الخطاب عن النص من حيث أنَّ الخطاب أشمل وأطول من النص، وأيضاً كون الخطاب يتجسّد في صورة شفويّة على عكس النص الذي يرتبط بالكتابة.

- هناك شبه توافق بين المعنيين اللغوي العربي والغربي فكلاهما يعتبران الحجاج بمثابة جدل يقوم بين المتكلم والمتلقي، إذ يعتمدان على جملة من الأدلة والبراهين المقنعة لدعم موقفهما والدفاع عنه.

- ترتبط التداولية بالحجاج ارتباطاً وثيقاً فبعدما كانت مجرد آلية حوارية من آليات الحجاج انتقلت إلى دراسة الحجاج وكيفية التأثير في المتلقي وقدرة المتكلم على جعل لغته قادرة على إقناع مستمعيه.

- تشترك الآليات الحجاجية (اللغوية، البلاغية، التداولية) في الأربعين النووية من حيث تأديتها نفس الدور الحجاجي، والمتمثل في إقناع المتلقي والتأثير فيه.

- اعتمد الرسول -صلى الله عليه وسلم- في بناء حججه وعرضها من الحجّة القوية إلى الحجّة الأقوى، لبلوغ نتيجة واحدة، وهذا ما يُشكّل السلالم الحجاجية.

- تميّزت الأربعون النووية بخصائص وفنّيات بيانية ولغوية جعلتها تتصدّر وتتألق في سماء الدراسين والعلماء كما أنّها تحتوي على بنية خطابية جديرة بالتدبر والإمعان العميق.

- منحت لنا هذه الدراسة فرصة الغوص في أعماق الإعجاز النبوي الشّريف البياني واللّغوي، ورحلة ممتعة في رحاب الخطاب الحجاجي.

- هذه الأحاديث تزخر بكنوز لغوية وآليات حجاجية جمّة تُضيف إلى اللغة العربية مصدراً للاستمرار والتألق والقوة.

- كشفت لنا هذه الدّراسة عن المعاني العميقة والدُرر الدّفينّة التي لا تظهر للعيان إلّا من خلال الانكباب على البحث المستمرّ، كما أنّها تبرز قيمة الخطاب الحجاجي ووظيفته العليا في استمرارية الإعجاز النبوي وإفحام المتعنّتين.

الخاتمة

لا يخلو أيُّ جُهد من النقص والفُصور فالكمال لله لذلك لا ندّعي في هذا العمل المُتواضع سُمُوًا ورفعةً وكمالاً، لكن هذا ما تمَّ إيراده وتهيء إعداده وأعاننا الله على تقييده، نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن نكون قد استوفينا ولو معشار حق هذه الدراسة، والله نسأل التّوفيق والسّداد والصّواب .

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

I - المصادر:

- 1- ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، ط2، مصر، القاهرة: دت، دار النهضة.
- 2- الباجي أبو الوليد، المنهاج في ترتيب الحجاج، تح: عبد المجيد تركي، دط: دت، دار العرب الإسلامي.
- 3- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، ط7 القاهرة: 1411هـ-1991م، مكتبة الخانجي، ج2.
- 4- الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، أسرار البلاغة في علم البيان تح: محمود محمد شاكر، دط، جدّة، السّعوديّة: دت، دار المدني.
- 5- الجرجاني علي بن محمد الشّريف، معجم التّعريفات، تح: محمّد صديق المنشاوي، دط القاهرة، مصر: دت، دار الفضيلة.
- 6- الجوهري اسماعيل بن حمّاد، تاج اللّغة وصحاح العربيّة، تح: أحمد عبد الغفور عطار ط4، بيروت، لبنان: 1990م، دار العلم للملايين، ج1.
- 7- الجويني أبو المعالي، الكافية في الجدل، تح: فوقية حسين محمود، دط، القاهرة، مصر: 1399هـ- 1979م، مطبعة عيسى البابي الحلبي.
- 8- الرّازي محمد بن أبي بكر عبد القادر، مختار الصّحاح، ط1، بيروت، لبنان: 1967م دار الكتاب العربي.

قائمة المصادر والمراجع

- 9- الرّازي محمّد فخر الدّين، التّفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ط1، بيروت، لبنان: 1401هـ-1981م، دار الفكر، ج26.
- 10- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشّعْر وأدابه ونقده، تح: صلاح الدّين الهواري وهدي عودة، ط1، بيروت، لبنان: 1416هـ-1996م، دار الهلال، ج1.
- 11- الزّركشي بدر الدّين محمّد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تح: أبي الفضل الدّمياطي، دط، القاهرة: 1427هـ-2006م، دار الحديث.
- 12- الزّمخشري أبو القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، دط، القاهرة، مصر: 1341هـ-1992م، دار الكتب المصريّة، ج1.
- 13- الزّمخشري أبو القاسم محمود بن عمر، الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، تح: عادل عبد الموجود وعلي محمّد معوض، ط1، الرّياض الأردن: 1418هـ-1998م، مكتبة العبيكان، ج6.
- 14- السّكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمّد بن علي، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، ط2، بيروت، لبنان: 1407هـ، 1987م، دار الكتب العلميّة.
- 15- العسكري أبو هلال، الصّناعتين، تح: محمّد البجاوي ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، ط1 بيروت: 2006م، مكتبة عصريّة.
- 16- الفيروزآبادي مجد الدّين محمّد يعقوب، القاموس المحيط، تح: محمّد نعيم الوقسوسي ط8، بيروت، لبنان: 1426هـ-2005م، مؤسّسة الرّسالة.
- 17- القرطجني حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمّد الحبيب ابن خوجة، دط تونس: 1966م، دار الكتب الشّريقيّة.

قائمة المصادر والمراجع

- 18- ابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، تح: عامر أحمد حيدر، ط1، بيروت، لبنان: 1424هـ-2003م، دار الكتاب العلميّة.
- 19- النّوّي أبو زكريّا يحيى بن شرف، الأربعون النّوّيّة، تح: أحمد عبد الرّزّاق البكري، ط4 القاهرة، مصر: 1428هـ-2007م، دار السّلام.
- 20- النّوّي أبو زكريّا يحيى بن شرف، الأربعون النّوّيّة في الأحاديث الصّحيحة (ومعها تتمّة الحافظ بن رجب)، ط4، باب الواد، الجزائر: 1436هـ-2015م، دار الإمام مالك.
- 21- ابن وهب الكاتب أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان، البرهان في وجوه البيان تح: جفني محمد شرف، دط، مصر: دت، مطبعة الرّسالة.
- 22- يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإيجاز، دط، مصر: 1663هـ-1914م، دار الكتب الخديوية، ج3.
- 23- ابن يعيش موقف الدّين، شرح المفصل، دط، مصر: دت، إدارة الطّباعة المنيرية، ج3.
- II - المراجع:**
- 24- آل جبعان ظافر بن حسن، ترجمة الإمام النّوّي، ط1، شوال، 1428هـ، سلسلة التّراجم (1).
- 25- بن إبراهيم بن قاسم عبد العزيز، الدّليل إلى المتون العلميّة، ط1، الرّياض، السّعوديّة: 1420هـ-2000م، دار الصّميعي.
- 26- أحمد نحلة محمود، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دط، 2006م، دار المعرفة.

قائمة المصادر والمراجع

- 27- أمين أحمد وزكي نجيب محفوظ، قصة الفلسفة اليونانية (السلسلة الفلسفية)، ط2 القاهرة: 1935م، دار الكتب المصرية.
- 28- البازعي سعد والزويلي ميجان، دليل الناقد العربي، ط3، بيروت، لبنان: 2002م المركز الثقافي العربي.
- 29- بحاجي خليفة ابن مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ط، بيروت، لبنان: دت، دار إحياء التراث العربي، مج1.
- 30- بحيري سعيد حسن، علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات)، ط1، القاهرة، مصر: 1997م، دار نوبار.
- 31- بوجادي خليفة، في اللسانيات التداولية (مع محاولة تأصيله في الدرس العربي القديم) ط1، العلمة، الجزائر: 2009، بيت الحكمة.
- 32- الحباشة صابر محمود، التداولية والحجاج (مداخل ونصوص)، ط1، دمشق، سوريا: 2008م، دار صفحات للدراسات.
- 33- الحباشة صابر محمود، الأسلوبية والتداولية (مداخل لتحليل الخطاب)، ط1، الأردن: 1432هـ-2011م، عالم الكتب الحديث.
- 34- حمّادي إدريس، الخطاب الشرعي وطرق استثماره، ط1، بيروت، لبنان: 1994م المركز الثقافي العربي.
- 35- حمّو الحاج ذهبية، لسانيات التلّفظ وتداولية الخطاب، ط2، تيزي وزو، الجزائر: دت دار الأمل.
- 36- خطّابي محمّد، لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، ط3، بيروت، لبنان: 2012م، المركز الثقافي العربي.

- 37- الدّريدي سامية، الحجاج في الشعر العربي المعاصر (بنيته وأساليبه)، ط2، إربد الأردن: 2001م، عالم الكتب الجديد.
- 38- الدّقر عبد الغني، الإمام النّوّي، ط4، بيروت، لبنان: 1415هـ-1994م، دار القلم.
- 39- دلّاش الجليلي، مدخل إلى اللّسانيّات التّداولية، تر: محمّد يحياتين، دط، بن عكنون الجزائر: دت، دار الكتب.
- 40- دي بوجراند روبرت، النّص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسن، ط1، القاهرة، مصر: 1418هـ-1998م، علا الكتب.
- 41- روبول آن وموشلار جاك، التّداوليّة اليوم (علم جديد في التّواصل)، تر: سيف الدّين دغفوس، مراجعة لطفي زيتوني، ط1، بيروت، لبنان: 2003م، دار الطّليعة.
- 42- الرّتاد الأزهر، نسيج النّص (بحث في ما يكون به الملفوظ نصًّا)، ط1، الدّار البيضاء المغرب: 1993م، المركز الثقافي العربي.
- 43- السّدّ نور الدّين، الأسلوبية وتحليل الخطاب (دراسة في النّقد العربي الحديث)، دط الجزائر: 2010م، دار هومة، ج2.
- 44- الشّاوش محمّد، أصول تحليل الخطاب في النّظرية النّحوية العربيّة (تأسيس نحو النّص)، ط1، تونس: 1421هـ-2001م، مكتبة الأدب المغربي، ج1.
- 45- صولة عبد الله، الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية، ط2، بيروت لبنان: 2007م، دار الفارابي.
- 46- طاليس أرسطو، الخطابة (التّرجمة العربيّة القديمة)، تح: عبد الرّحمان بدوي، دط بيروت، لبنان: 1979م، وكالة المطبوعات.

- 47- طه عبد الرّحمان، تجديد المنهج في تقويم التّراث، ط2، الرّباط، المغرب: دت، المركز الثقافي العربي.
- 48- طه عبد الرّحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط2، الدّار البيضاء، المغرب: 2002م، المركز الثقافي العربي.
- 49- طه عبد الرّحمان، اللسان والميزان والتّكوثر العقلي، ط1، الدّار البيضاء، المغرب: 1998م، المركز الثقافي العربي.
- 50- ابن ظافر الشّهري عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغويّة تداوليّة)، ط1 بيروت، لبنان: 2004م، دار الكتاب الجديدة المتّحدة.
- 51- عبد الغفّار أحمد، التّصوّر اللّغوي عند علماء أصول الفقه، دط، الإسكندريّة، مصر: 1996م، دار المعرفة الجامعيّة.
- 52- العزّاوي أبو بكر، اللّغة والحجاج، ط1، الدّار البيضاء: 1426هـ-2006م، العمدة في الطّبّع.
- 53- عشير عبد السّلام، عندما نتواصل نغيّر (مقاربة تداوليّة معرفيّة لآليات التّواصل والحجاج)، دط، المغرب: 2006، أفريقيا الشّرق.
- 54- العمري محمّد، البلاغة الجديدة بين التّخيل والتّداول، دط، الدّار البيضاء: 2005م إفريقيا الشّرق.
- 55- العمري محمّد، في بلاغة الخطاب الإقناعي (مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربيّة، الخطابة في القرن الأوّل أنموذجًا)، ط2، بيروت، لبنان: 2002م، إفريقيا الشّرق.
- 56- عمر يوسف حسن، شرح الرّضيّ لكافية بن الحاجب، تح: يحي بشير مصري، ط1 بيروت، لبنان: 1417هـ-1996م، دار الكتب العلميّة، مج1.

- 57- عيَّاشي منذر، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ط1، 2002م، مركز الإنماء الحضاري.
- 58- فاندايك، علم النَّص (مدخل متداخل الاختصاصات)، تح: سعيد حسن بحيري، ط1 مصر: 1421هـ-2001م، دار القاهرة للكتاب.
- 59- فاندايك، النَّص والسِّيَاق (استقصاء البحث في الخطاب الدَّلالي والتَّداولي)، تر: عبد القادر قنيني، دط، المغرب: 2000م، إفريقيا الشرق.
- 60- فريق البحث في البلاغة والحجاج، أهمّ نظريَّات الحجاج في النِّقائيد الغربيَّة من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمّادي الصَّمّود، ط2، منوبة، تونس: دت، كليَّة الآداب.
- 61- فضل صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النَّص، دط، دت، عالم المعرفة.
- 62- مانغونو دومينيك، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمّد يحياتين، ط1 الجزائر: 1428هـ-2008م، منشورات الاختلاف.
- 63- مفتاح محمّد، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التَّنَاص)، ط3، 1992م، المركز الثقافي العربي.
- 64- محمّد الطَّلُبة محمّد سالم الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة (بحث في بلاغة النِّقَد المعاصر)، ط1، 2008م، دار الكتاب الجديدة المتَّحدة.
- 65- مليز سارة، الخطاب، تر: عبد الوهَّاب علوب، ط1، القاهرة، مصر: 2016م، المركز القومي للترجمة.
- 66- كريستيفا جوليا، علم النَّص، تر: فريد الزَّاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم، ط2، الدَّار البيضاء، المغرب: 1997م.

67- التّووي محي الدّين، شرح سنن أبي داود السّجستاني (وفي مقدّمات تحقيقه تحفة الطّالبيين في ترجمة الإمام التّووي)، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، عمّان الأردن: 1428هـ-2007م، الدّار الأثريّة.

68- يقطين سعيد، انفتاح النّص الرّوائي (النّص والسّياق)، ط2، الدّار البيضاء، المغرب: 2001م، المركز الثّقافي العربي.

III - المجالات:

69- دقّة بلقاسم، استراتيجيّات الخطاب الحجاجي (دراسة تداوليّة في الإرساليّة الإشهاريّة العربيّة)، ع10، بسكرة، الجزائر: 2014م، مجلّة المخبر.

70- العبد محمّد، النّص الحجاجي العربي (دراسة في وسائل الإقناع)، ع1، دت، مجلّة فصول.

71- مدقن هاجر، آليات تشكّل الخطاب الحجاجي (بين نظريّة البيان ونظريّة البرهان) ع5، ورقلة، الجزائر: مارس، 2006م، مجلّة الأثر.

72- الوليّ محمّد، مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، ع2، الكويت: أكتوبر، ديسمبر، 2011، مجلّة عالم الفكر، مج40.

IV - المذكرات:

73- بوشلاغم بشري، نظريّة النّص عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، مذكرة لنيل الماجستير، سطيف، الجزائر: 2010م-2011م، جامعة فرحات عبّاس.

74- قسميّة دليّة، استراتيجيّات الخطاب في الحديث النّبوي الشّريف، مذكرة مقدّمة لنيل الماجستير، باتنة، الجزائر: 2011م-2012م، جامعة الحاج لخضر.

قائمة المصادر والمراجع

75- مدقن هاجر، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه (دراسة تطبيقية في كتاب المساكين للرافعي)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، 2002، 2003، جامعة ورقلة.

V - المراجع الأجنبية:

76- Alain Rey, Le petit Robert micro ;Dictionnaire d'apprentissage de la langue française, éd: 2012, p72.

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
مقدمة	
الفصل الأول: مدخل نظري إلى علمي الخطاب والحجاج.....	5
تمهيد.....	6
المبحث الأول: ماهية الخطاب ودلالاته.....	33-7
- مفهوم الخطاب في الثقافتين العربية والغربية.....	18-7
- مفهوم الخطاب في التراث العربي.....	13-7
- الخطاب في الثقافة الغربية.....	18-13
- النص في المنظور العربي.....	22-18
- لغة.....	19-18
- اصطلاحا.....	22-19
- النص في المنظور الغربي.....	25-22
- التعريف الجامع بين الخطاب والنص.....	26-25
- التعريف الفارق بين الخطاب والنص.....	28-26
- قوانين الخطاب.....	33-28
المبحث الثاني: دلالة الحجاج في الفكرين العربي والغربي.....	58-34
- تعريف الحجاج لغة.....	35-34

- اصطلاحا.....36-35
- المسار التاريخي للحجاج.....47-37
- الحجاج عند العرب.....43-40
- الحجاج في الدراسات الغربية.....47-43
- علاقة الحجاج بالتداولية.....50-48
- مفهوم التداولية: لغة واصطلاحا.....49-48
- آليات الحجاج.....57-50
- الآليات اللغوية.....51-50
- الآليات البلاغية.....54-52
- الآليات التداولية.....58-54
- المبحث الثالث: الخطاب الحجاجي (الأنواع والخصائص).....59-70
- الخطاب الحجاجي وخصائصه العامة.....65-59
- أنواع الخطاب الحجاجي وخصائص كل نوع.....70-65
- الفصل الثاني: الخطاب الحجاجي في الأربعين النووية.....71
- المبحث الأول: التعريف بالإمام النووي وبالمدونة.....89-72
- الإمام النووي اسمه ونسبه.....72
- مولده ونشأته.....74-73

75-74.....	- طلبه للعلم.....
79-76.....	- شيوخه وتلاميذه.....
80.....	- الكتب التي سمعها.....
82-80.....	- مؤلفاته.....
82.....	- وفاته.....
89-83.....	- الأربعون النووية.....
119-90.....	المبحث الثاني: آليات الخطاب الحجاجي اللغوية والبلاغية.....
106-90.....	- آليات الخطاب الحجاجي اللغوية.....
119-106.....	- آليات الخطاب الحجاجي البلاغية.....
139-120.....	المبحث الثالث: الجانب التداولي للحجاج في أحاديث الأربعين.....
130-120.....	- الأفعال الكلامية.....
134-130.....	- الروابط الحجاجية.....
139-135.....	- السلاالم الحجاجية.....
143-141.....	الخاتمة.....
153-145.....	قائمة المصادر والمراجع.....
157-155.....	فهرس الموضوعات.....